الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العالـــي البحـــث العلمـــي

جامعـــة عبـــاس لغـــرور -خنشلـــة-

معهـــــد الآداب واللغـــــــات

قسم اللغـــة والأدب العربـــي

الاتبـــاع والابتـــداع فـــي الشعـــر الأندلســـي

– ابن هانيء الأندلسي أنموذجا -

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر

تخصص أدب قديم

إعداد الطالبة

وداد سعـــداوي

إشراف الأستاذ

رشيـــد خلايفـــي

لجنـــة المناقشـــــــة

الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
الوردي غنيمي	أستاذ محاضر ب	جامعة عباس لغرور- خنشلة-	رئيسا
رشيد خلايفي	أستاذ مساعد أ	جامعة عباس لغرور- خنشلة-	مشرفا ومقررا
نبيل قواس	أستاذ مساعد أ	جامعة عباس لغرور- خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية : 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»

سورة التوبة – الآية 105

شكر وعرفان

الشكر الأول والأخير لله عز وجل نحمده ونثني عليه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ان أنعم علينا بنعمة العلم وأن وفقنا في عملنا هذا، والصلاة والسلام على رسول الله وخير الخلق محمد عليه الصلاة والسلام.

" الشكر قيد النعمة وسبب دوامها ومفتاح المزيد منها"

احتكاما لقول النبي عليه الصلاة والسلام : "

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد بقدر كبير أو بسيط في إنجاز هذا البحث المتواضع وأخص بالذكر الأستاذ المشرف – خلايفي رشيد – على جميل صبره ونصائحه وتوجيهاته التي لم يبخل بها عليا تصويبا لهذا البحث.

إهـــــداء

إلى من علماني أن العلم سر الحياة، وأن الصبر زادها و أن الجهاد فريضتهـــــا من مزج حياتيهما في كأس حياتـــي فشربته عذبا زلالا تربية و تعليما لأداء بعض حقهما و إظهار لثمرة صبرهما و توسلا للحصول علـــى مزيد الرضـــا منهما ورغبة في أن أحظى بكثير دعائهما ..... أبي و أمي الغاليين

إلى روح أختي الغالية " ربعية " رحمها الله.

إلى كل الإخوة والأخوات وأبنائهم وذرياتهم وأزواجهم وزوجاتهم.

إلى الزملاء والزميلات بريزة ، ياسمينة، عائشة، فاطمـــة سليم، سيف الدين، فارس .

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

إلى الذين ذكرهم قلبي ولم يذكرهم قلمي .

وداد سعداوي

ملخص :

كان الشعر ولا يزال ديوان العرب، فهو يعبر عن حياة وبيئة الشاعر من جهة وعن ظروفه السياسية والاجتماعية من جهة أخرى، حيث تتعدد موضوعاته بتعدد المواقف من مدح وهجاء ووصف ورثاء، ففي العصر الأندلسي أبدع الشعراء أروع القصائد التي كانت سببا لشهرتهم و ذياع سيطهم إلى يومنا هذا، لهذا جاء بحثي المسمى بـ : " الاتباع والابتداع في الشعر الأندلسي " ، " ابن هانيء الأندلسي " أنموذجا.

حيث توزّع البحث على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة ثم ملحقا للتعريف بالشاعر

وخلصت في نهاية البحث إلى عدة نتائج لعل أهمها :

أن شعر " ابن هانيء " كان صورة واضحة لحياته العقائدية ألا وهي العقيدة الإسماعيلية ففي شعره إشارات كثيرة تؤكد مذهبه، وإن عبر على شيء فإنه يعبر عن فكرة الالتزام التي شاعت في النقد الحديث.

أن الشاعر كان مقلدا للقدماء مضيفا لمسته الجديدة في الشعر مبدعا بذلك قصائد مشهورة جدا في عصره حتى أنه عند وفاته أسف له الخليفة من شدة فخره به على نظيره المشرقي.

Résumé

La poésie était encore Diwane des Arabes reflète la vie du poète et de l'environnement et les circonstances politiques et sociaux d'une autre cote , où plusieurs sujets multiples positions de louange et de la satire et de la description et à se lamenter à l'époque andalouse ont excellé poèmes était la raison de leur renommée et l'importance à nos jours .

C'est pour ça je fus une recherche nommée disciplines et innover dans la poésie Andalousie Ibn Hani andalou , où la distribution de la recherche sur l'entrée puis deux chapitres et une conclusion pour compléter la définition du poète .

En conclusion, à la fin des résultats de recherche à plusieurs peut-être le plus important. Ibn Hani se sentait une image claire de son idéologique à savoir la foi ismaélienne ,dans ses poésies de nombreux signes de sa doctrine et que les divisions de quelque chose qu'il reflète l'idée de l'engagement que la plupart de ses poèmes étaient le but de la louange a été pour Elmoiz que le poète était imitative ancienne , ajoutant nouvelle touche dans la poésie , il inventa des poèmes très célèbre en son temps pour que quand il est mort .malheureusement son successeur de l'intensité de son orgueil en lui sur son levantine .

مقدمة

مقدمة :

كان الشعر ولازال ديوان العرب ومجلسهم، فصوروا فيه كل حياتهم اليومية والدينية السياسية والاجتماعية، فأرخوا فيه لتاريخهم وأحداثهم المختلفة من حروب، وغزوات، من أفراح وأحزان وغيرها وهذا ما جعله يتعدد بتعدد الأغراض والمواقف؛ ولعل شعر المدح يعتبر من أهم الأغراض الشعرية التي اهتم بها الشعراء سواء في الجاهلية أو في الإسلام وذلك لما يحمله المدح من فخر وعزة ورفعة، فحمل ما تمنوه و ما أرادوه من صفات النبل والشجاعة والنفوذ وغيرها من صفات الممدوح.

وباعتبار أن المدح مؤسسة قائمة بذاتها في إنتاج خطابات فنية فكرية، موسيقية ونصوص دعائية جماعية تكرس لإيديولوجية الممدوحين وتحفظها وتمدها بعناصر الترويج والدعاية لسلطتهم الدينية والسياسية لطرح القصائد في ميدان التنافس أو الانتاج المثيل أو المتجاوز، فإننا نجد كثيرا من الشعراء الذين مارسوا المدح الديني والعقائدي ومن بين الشعراء الذين كرسوا شعرهم لخدمة مذهب ديني سياسي وقورنوا بأسماء ممدوحيهم وقورن ممدوحهم بأسمائهم، نجد " محمد ابن هاني الأندلسي " المشهور بقصائده المدحية التي نجدها مشحونة بطاقة كبيرة في مدح " المعز لدين الله الفاطمي " والتي تسمى المعزيات نسبة إلى الخليفة "المعز لدين الله الفاطمي"، وهذه القصائد تحتقب مفصلا مهما من تاريخ العالم الإسلامي في العهد الفاطمي وهو العهد الذي أقام فيه الفاطميون بأرض المغرب وإفريقيا فكان فيها أكبر ملك اتسع شيئا فشيئا حتى شمل ثلثي العالم الإسلامي.

من خلال الطرح السابق يمكنني أن أطرح الاشكالية التالية :

ماهي مميزات العصر الأندلسي ؟ وكيف كان شعر ابن هاني في هذه الفترة ؟ وما هي العوامل المؤثرة في الشاعر ابن هانيء الأندلسي تقليدا وتجديدا ؟.

وباعتبار أنه من خصائص شعر ابن هانيء أنه يمسك بتلابيب المتلقي ويستفزه ليجعله يقرأ لأدب شاعر كان خاضعا لعقيدة إسماعيلية بحتة، وهو ما شجعني على اختيار الموضوع المقترح الموسوم بـ :" الاتباع والابتداع في الشعر الأندلسي – ابن هانيء الأندلسي – أنموذجا "

إضافة إلى أراء النقاد والباحثين حول الشاعر، حيث وصفوه التبعية الشرقية لدرجة أنهم سموه متنبي المغرب، حيث قمت باستقراء العديد من الأبيات من قصائد " ابن هانيء " معتمدة المنهج التحليلي التكاملي الذي يجمع بين الوصف والتحليل.

ولأن خطة البحث لا تقل أهمية عن باقي الخطوات المنهجية بل وتعتبر الخطوة الفعالة والمختصرة المراحل، فقد قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة وملحق.

في المدخل قدمت نبذة عن الأندلسي جغرافيا وتاريخيا، وفي الفصل الأول تطرقت إلى الشعر الأندلسي؛ خصائصه وموضوعاته وكذا تعريف كل من الاتباع والابتداع لغة واصطلاحا.

واتجهت في الفصل الثاني نحو الدراسة التطبيقية للموضوع شرحا وتحليلا.

نهاية لكل مطاف خاتمة بلورت فيها أهم الملاحظات والنتائج التي استخلصتها من البحث، ثم ملحق تعرضت فيه لترجمة الشاعر " ابن هانيء الأندلسي " .

وقد استندت في دراستي إلى مجموعة من الكتب والدراسات السابقة التي تناولت الموضوع منها ديوان" ابن هاني الأندلسي" وتاريخ الأدب العربي لـ " أحمد حسن الزيات " وغيرها، فقد واجهتني العديد من الصعوبات التي تخطيتها بإذن الله تعالى والتي لا يسعني ذكرها كلها إلا واحدة منها تتمثل في ندرة الدراسات التطبيقية حول شعر ابن هانيء، و هذا ما شكل أمامي لذة المغامرة في البحث .

المدخل : الأندلس جغرافيا وتاريخيا

01- الحياة السياسية

02- الحياة الثقافيـــــة

03- الحياة الاجتماعية

الأندلس جغرافيا وتاريخيا :

يطلق هذا الاسم على تلك الرقعة من الأرض التي أصبحت في حوزة العرب، وقد شملت بعد الفتح الإسلامي شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا) حاليا ماعدا ركنما الشمالي الغربي المسمى جليقية، وأراد طارق بن زياد اللحاق بها لولا وصول قرار الخليفة الذي طلب منه وقف عملية الفتح والعودة إلى دمشق، ويضاف إلى ذلك أن المناطق الواقعة وراء جبال البرنية التي تشمل عددا من المدن تسمى الأندلس الكبرى.

ومع بداية حرب الاسترداد بدأت الأندلس الكبرى تفقد بعض المدن والحصون والقلاع وأول ما فقدت تلك الأراضي الواقعة وراء جبال البيرنة وأصبحت الأندلس العربية الإسلامية تشمل شبه الجزيرة الأيبيرية ماعدا أركنما الشمالي الغربي الذي يدعى جليقية.

وفقدت الأندلس مدنا وحصونا أخرى في القرن الخامس إلى منتصف القرن السادس أيام الطوائف والمرابطين؛ منها طليطلة، ووادي الحجارة ومدينة سالم في الثغر الأوسط، وسرقسطة وبربشتر في الثغر الأعلى، بالإضافة إلى بعض الحصون والقلاع، وبذلك تقلصت أكثر أيام الموحدين إذ سقطت مدن وحصون كثيرة؛ منها جزيرة ميروقة وإشبيلية ومرسية في سنة 668هـ.[1]

وهكذا لم يبق من الأندلس في النهاية سوى إقليم غرناطة الذي يضم مدن رئيسية.

---

(1) : محمد عبد الطيب النافع وابراهيم عبد الرحيم يوسف: تاريخ الأدب والنصوص الأدبية، مراجعة منير البعلبكي، مكتبة الوحدة العربية، بيروت، دت ، دط، ص 360

01- الحياة السياسية :

فتح العرب سنة 99هـ/711م، بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نضير، وقد تمت السيطرة خلال أربع سنوات على شبه الجزيرة الأيبيرية، ماعدا المنطقة الجبلية الوعرة التي تعرف ببلاد الصخر الشمالي.

ويمكننا تقيم الحياة السياسية في الأندلس بعد فترة الفتح إلى العصور والفترات التالية :

01-1- عصر الولاة : (95هـ-138هـ/714م-755 م)

تولى حكم الأندلس خلال هذه الفترة عشرون واليا وكانت الأندلس ترتبط إداريا بشمالي افريقية، وكانت إشبيلية في بداية الأمر هي القاعدة ثم انتقلت بعد ذلك إلى قرطبة. وأبرز الأحداث في هذه الفترة تتمثل في مواصلة الجهاد وإتمام الفتح، كما أن فترة الفتح وما بعدها لم تشهد حضور أدباء مشارقة والاهتمام بالأدب لايزال مبكرا.[1]

01-2- عصر الإمارة : (138هـ - 316هـ / 756م – 929 م)

بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق سنة 132هـ دخل عبد الرحمان بن معاوية الأندلس هربا من سيوف العباسيين، وأسس إمارة أموية في الأندلس توالى عليها عقبة فيما بعد وقد لقب بعبد الرحمان الداخل.

وشهدت هذه الفترة بدايات الثقافة في شتى المجالات، ونال الأدب شعرا ونثرا اهتماما من قبل أمراء بني أمية الذين كان جلهم يفرظ الشعر، ابتداء من عبد الرحمان الداخل وفي ظل الاستقرار الذي شهدته الدولة انطلق شذاة الأدب واللغة والعلوم الأخرى إلى المشرق للإغتراف من معينه العلمي الثري، والعودة إلى الأندلس لنشر هذه الثقافة فيها.

---

(1) : حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، مج 3، الأدب في الأندلس والمغرب، دار الجيل، بيروت،ط2003،1م، ص13-14

01-3- عصر الخلافة : (316هـ - 422 هـ/929م – 1301م)

وينقسم هذا العصر إلى فترات وهي :

أ- فترة قوة الخلافة (316هـ - 366هـ / 929م – 976م)

عاشت الأندلس في هذه الفترة في ظل حاكم قوي وهو عبد الرحمان بن محمد الملقب بالناصر. واستطاع على الصعيد الداخلي القضاء على الثروات، وتخضع الثائرين الذين استقلوا عن مركز الخلافة، وأعاد للأندلس وحدتها الداخلية، أما على الصعيد الخارجي فقد أرسل عدة حملات للقضاء على ثورات الفرنجة، وأحرز انتصارات عظيمة في عدد من الواقع ونعمت البلاد في ظل حكمه بالاستقرار وهو ما دفع الناس إلى العطاء في كافة المجالات، وسار ابنه الحكم المستنصر(350هـ - 366هـ) الذي خلفه في الحكم على سياسته، ونهضت الحياة الثقافية نهضة كبيرة بفضل التشجيع الذي أولاه عبد الرحمان وابنه الحكم، وانتشرت المؤلفات الوافدة أهمها : أبو العلي القالي وكتابه الأمالي، وبدأت تصدر تباعا نتاجات الكتّاب الأندلسيين مثل : ابن عبد ربه وكتابه العقد الفريد، ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع، الذخيرة لابن بسام.[1]

ب- بفترة الحجابة : (366هـ - 399هـ/978 م – 1008 م)

ترك الحاكم المستنصر مملكة قوية مترامية الأطراف لابنه الذي كان صغير السن وهو هشام الثاني، الأمر الذي جعل وزير والده محمد بن أبي عامر الملقب بالمنور يستبد بالسلطة ويحجب الأمير الصغير عن العامة، فسميت هذه الفترة فترة الحجابة وقد اشتهر هذا الحاكم بجرأته وغزواته وقد كانت العلوم في ظل حكمه مزدهرة إلا علوم الفلك، والتنجيم والفلسفة فقد حاربها أحرق كل الكتب التي وجدها في مكتبه الحكم في هذا الاتجاه.

---

(1) : محمد سعيد محمد: دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2001م، ص 22

أما الأدب فقد اهتم به وعقد له مجالس، فقد عرف أنه كان شاعرا وكان يستمع إلى الشعراء ويناديهم، وبعد وفاة المنصور تولى ابنه الملك الملقب بالمظفر، وقد نهج في أموره نهج والده فحجب الأمير واستبد السلطة واتبع سياسة أبيه في الغزو، إلى غير ذلك من العصور والفترات التي مرت بها الأندلس.

02- الحياة الثقافية :

استقر العرب في الأندلس، وكان أول ما قاموا به من أعمال هو بناء المساجد، التي كانت أماكن للعبادة والإفتاء في المسائل الدينية إضافة إلى أنها استغلَّت في تعليم أهل البلاد المفتوحة الدين الجديد، وكانت الثقافة في البداية أدبية ولغوية ودينية، وبعد ذلك شملت شتى فروع المعرفة.[1]، وكانت هذه العلوم وافدة إليهم من المشرق فانكبوا على قراءتها وتمثلهم بنهم شديد وقد ازدهرت الحياة الثقافية في الأندلس بسبب عوامل متعددة منها تشجيع الأمراء والخلفاء حيث اهتم بني أمية وخلفاؤهم بالعلم والعلماء وبخاصته الشعراء لأن جلهم كانوا يقرضون الشعر فالحاكم بن هشام كان فصيحا، بليغا، شاعرا، مجيدا وردت له أشعار في الفخر والغزل وكذا الأمير محمد بن عبد الرحمان شغف بالبيان وآثر أهل الأدب، وكان شاعرا فله شعر في الغزل والفخر وعرف عبد الله بن محمد أنه كان أديبا شاعرا بصيرا باللغة حافظا لأشعار العرب وأيامها وكان أكثر الخلفاء رواية للشعر، على أنه كان مطبوعا، له شعر في الزهد والغزل. وقد حضي الشعراء بمكانة مرموقة في عهده واجتمع في دولته عدد لابأس به : منهم أحمد بن محمد بن عبد ربه. اسماعيل بن بدر و عبيد الله بن يحي بن إدريس.

---

(1) : عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، دت، دط، ص 150

والحسن بن حسان، وازدهرت الحياة الثقافية ازدهارا لم تشهده من قبل، وذلك في ظل حكم المستنصر الذي وجه ألف دينار إلى أبي الفرج الأصبهاني ليبعث له بنسخة من كتاب الأغاني وكان هذا الخليفة جامعا للعلوم، وقد جمع من الكتب المتنوعة ما لم يجمعه أحد من الملوك وكانت له خزائنه كتب بلغ عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعين فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين، هذا إلى أن جمع بداره الحذاق في صناعة النسخ، والمهرة في الضبط والمجيدين في التجليد، فاجتمعت له بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله، وعرف عن الحكم المستنصر كذلك أنه كان من المشجعين لأبناء بلده على طلب العلم، ونال العلماء في عهده مكانة سامية من الاحترام والتقدير وشجع على حركة التأليف.[1]

وهكذا سارت الحياة الثقافية بقوة الدفع الذي تمتعت به فترة الخلافة، وكان للمنصور مجلس أسبوعي للشعراء يضم كبار علماء عصره وهو أول حاكم أندلسي وضع للشعراء ديوانا يرزقون منه، وكان على رأسهم الناقد عبد الله بن مسلمة الذي كانت تخرج على يديه صلات الشعراء الذين يستجدون شعرهم، ويتمثل العامل الثاني في الرحلات المتبادلة بين المشرق والأندلس منذ أن وطئت أقدام العرب الأندلس لم تنقطع الرحلة بين موطنهم الجديد وموطن الأجداد، وكان ذلك لغرض الحج أو اللقاء بكبار علماء العربية في موطنهم والتتلمذ لهم و الاغتراف من معينهم الثري والعودة إلى الأندلس لنشر هذه العلوم بين أهلهم ومن أهم الراحلين من الأندلس إلى المشرق والعكس نجد : أبو عبد الله الخشني أدخل إلى الأندلس الكثير من الكتب في اللغة والشعر الجاهلي.

ومحمد بن عبد الله الغازي القرطبي هو الآخر رحل إلى المشرق وحين عاد إلى الأندلس أدخل الأخبار والأشعار العربية وأخذتها عنه أصحاب الأندلس وفي مقابل ذلك جاء علماء مشارقة واستقروا في الأندلس حتى قضوا بها نحبهم

---

(1) : حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، دط، 2005م، ص 936

ويقف في صدارة هؤلاء أبو علي القالي، فقد وفد إلى الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر وكان له تأثير ملحوظ وذلك من خلال مؤلفاته البارع، الأمالي وتفسير القصائد وغيرها وكذا عن طريق تلاميذه حيث كان له عدد من الطلبة في قرطبة من بينهم بكر بن محمد بن الحسين الزبيدي، والحاجب المنصور بن أبي عامر وغيرهم وظهر تأثير هؤلاء عن طريق مؤلفاتهم وإبداعاتهم، وكانوا الأعمدة الأولى التي نهض بها التراث اللغوي والأدبي وكذلك انتشار حلقات الدروس والكتب العلمية الوافدة حيث كان من نتائج الرحلة التي قام ويقوم بها العلماء الأندلسيون وطلبة العلم إلى المشرق هي العودة بحصيلة علمية تلقوها على أيدي العديد من العلماء في كافة التخصصات في علوم العربية وبخاصته في علوم اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأدب شعرا ونثرا.[1]

---

(1) : فوزي عيسى، الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009م، ص 12

الفصل الأول

الفصل الأول: الشعر الأندلسي الموضوع والخصائص والإطار المفاهيمي

" للاتباع والابتداع "

أولا : الشعر الأندلسي

01- خصائصه

02- موضوعاته

ثانيا : الاتباع

I- لغة

II- اصطلاحا

ثالثا : الابتداع

I - لغة

II- اصطلاحا

الشعر الأندلسي الموضوعات والخصائص والإطار المفاهيمي للاتباع والابتداع

أولا : الشعر الأندلسي :

ظهر الشعر الأندلسي في ظروف مختلفة عن مثيله في المشرق، ظروف متصلة بطبيعة الأندلس وتنوعها و عنى بمواطن جمالها، وأخرى متصلة بالتكوين الثقافي للسكان، كان الشعر على مر العصور وسيلة ترفع صاحبها إلى أسمى مراتب الدولة، بغض النظر عن عقيدة الشاعر ودينه، فقد نبع عدد من الشعراء غير المسلمين، وقد حضي الشعر عند الأندلسيين بمكانة عظيمة وكان للشعراء مكانة خاصة عند الملوك فهم ينشدون في مجالسهم عظماء ملوكهم المختلفة.

وقد تطور الشعر الأندلسي وازدهر وذلك نتيجة عوامل عدة منها :

- ✓ الاستقرار والرفاه الذي عاش فيه الأندلسيون
- ✓ امتزاج الأجناس واندماجها مع الحضارة الغربية.
- ✓ انتشار الحرية الفكرية والانفتاح على العلوم والثقافات الأخرى
- ✓ تشجيع الحكام للشعراء
- ✓ جمال الطبيعة الأندلسية وسحرها من جبال وسهول وزهور وغيرها كما يقول :

أحمد حسن الزيات : « وجد الشعراء العرب في أروبا مالم يجدوه في آسيا من الحياة المتنوعة والأجواء المتغيرة والمناظر المختلفة والأمطار المتصلة والخمائل الجميلة ... ووسعوا دائرة الأدب وهذبوا الشعر فتأنقوا في ألفاظه وتنوقوا في معانيه ونوعوا في قوافيه وتفننوا في خياله ودبجوه تدبيج الزهر ...»[1].

01- خصائص الشعر الأندلسي :

أول ميزة يتميز بها الشعر الأندلسي هي الخيال والمعاني والموسيقى الساحرة التي أهم بواعثها من حضارة جديدة وطبيعة خلابة، وأهم أدواتها إحكام التشبيه وبراعة الوصف وفي هذا

---

(1) : أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط7، 2002م، ص238.

يقول الرافعي : « يمتاز شعر فحول الأندلس بتجسيم الخيال النحيف وإحاطته بالمعاني المبتكرة التي توحي لها الحضارة والتصرف في أرق فنون القول واختيار الألفاظ التي تكون مادة لتصوير الطبيعة وإبداعها في جمل وعبارات تخرج بطبيعتها كأنها التوقيع الموسيقي... ومن أجل ذلك أحكموا التشبيه وبرعوا في الوصف لأنهما عنصران لازمان في تركيب هذه الفلسفة الروحية التي هي الشعر الطبيعي »[1]. يرى الرافعي أن الخيال شيء ضروري ولازم في مكونات الشعر الحقيقي وقد وصف الخيال الشعري بالفاقة قاصدا امتزاج الخيال بالرقة.

تقليد الأندلس للمشرق في الشعر من حيث الموضوعات، فالموضوعات تقليدية من مديح ورثاء وهجاء إلى غير ذلك، وكذلك التقليد من حيث الأسلوب حيث ليسير على الاتجاه المشرقي من لغة وصور وبناء القصيدة وفي هذا يقول أحمد الاسكندري : « و إذا نظرنا إلى خواص الشعر الأندلسي من حيث طريقة نظمه وأغراضه ومعانيه ولفظه وأسلوبه وجدناه جاريا في الجملة في العصور المختلفة على نحو ماكنا عليه في المشرق إلا في بعض أمور زادوا فيها على المشارقة»[2].

حيث يرى الإسكندري ان الشعر الأندلسي كان مقلدا للشعر المشرقي إلا في أمور بسيطة مثل طريقة عرض الموضوعات وغيرها.

التركيز العاطفي هو تركيز الشاعر على عواطفه ونقلها عبر نصه الشعري الغزلي. تصوير الحياة الاجتماعية الضاحكة كما يقول بكري عطا : « أضف إلى ذلك ما اجتمع لدى أهل الأندلس من خفة الروح والظروف وحب الفكاهة والإقبال على الموسيقى والغناء و الانغماس في اللهو والمدح والانغمار في كرع جامات الخمر وتعاطي المسكرات كيف لا ؟ وأن الكروم في بلادهم كثيرة ومزارعها منبتة في كل مكان »[3]. وهذا نتيجة الثراء الفاحش للأندلسيين وكذا يرى الاسكندري بأن الشعراء صوروا الحياة الجميلة والثرية في الأندلس فقط لما فيها من لهو.

---

(1) : مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب، ج1، مراجعة وضبط، عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإمام للنشر، مصر، دط، دت، ص 296.

(2) : أحمد الاسكندري : تاريخ آداب اللغة العربية، مكتبة السعادة، مصر، ط1، 1912م، ص27.

(3) : بكري عطا : دراسات في الشعر العربي، مكتبة الارشاد، بغداد، دط، دت ، ص 36.

التجديد في الشعر وذلك عن طريق تجديدهم طريقة عرضهم للتشبيهات وطَرْق بعض المواضيع وكذا ظهور الموشحات أكثر ما يميز التطور الذي طرأ على الشعر الأندلسي.

ارتبط ذكر الموشحات بالعصر الأندلسي، فالموشحات تعرف على أنها « كلام موزون ومنظوم يتكون في الغالب من ستة أقفال وخمسة أبيات »[1].

وقد سميت الموشحات بهذا الاسم لما فيها من تزيين في القوافي والأوزان وتشبيها لها بوشاح المرأة المرصع بالمجوهرات وقد ارتبطت بالموسيقى والغناء من خلال انتشار مجالس اللهو والطرب.

02 – موضوعات الشعر الأندلسي :

تعدد موضوعات الشعر الأندلسي وأبدع الشعراء في شتى الأغراض من وصف ومديح ورثاء وغيرها من الفنون الشعرية.

الوصف : وقد أكثر الشعراء منه، وبخاصة وضعهم مجالس اللهو وحياة القصور وما فيها من زينة وأقمشة حتى أن الشعر الأندلسي صورة واضحة للحياة الأندلسية في شتى نواحيها حيث وضعوا متنزهاتها وعجائب عمارتها، وأوديتها وجبالها، وفتن الشعراء بجمال الأنهار تنساب بين البساتين، ومن ذلك قول ابن قفاجة في وصف النهر "

لِلهِ نَهْـرٌ، سَـالَ فِـي بَطْحَـاءِ أَشْهَى وُرُودًا مِنْ لَمَى الْحَسْنَاءِ

مُتَقَطِّـفٌ مِثْـلَ السَّـوَارِ كَأَنَّـــهُ وَالزّهْرُ يَكْشُفُهُ، مَجَرٌّ سَمَـــاءِ

قَدْ رَقَّ، حَتَّى ظَنَّ قُرْصًا مُفْرَغًا مِنْ فِضَّةٍ، فِي بُرْدَةٍ خَضْرَاءِ.[2]

برع شعراء الأندلس في الوصف وخاصة وصف الطبيعة فأجادوا في وصفها، وكذلك من ناحية أخرى انبهروا في وصف الديار والقصور التي عاشوا فيها وكذا وصف المدن والممالك من خلال رثائهم للمدن الزائلة، حيث جددوا في هذا الغرض وكان رثائهم للمدن نتيجة خسارتهم لهذه المدن والممالك وفقدانهم لها فجادت قرائحهم وعبروا عن مشاعرهم وحرقتهم عن بلادهم.

---

(1) : محمد عباسة : الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع مستغانم، ط1، 2012م، ص 49.

(2) : ابن خفاجة : الديوان، شرح وضبط النصوص وتقديم عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، دت، ص 12-13

المدح : لقد كثرت دواعي المدح في الأندلس مما أدى إلى كثرة الشعراء الذين برزوا وأبدعوا فيه فمدحوا الأمراء والخلفاء والحكام وكان غرض المدح أساسي في القصيدة وذلك للتقرب من الخليفة أو للتكسب وغيرها ومن جهة أخرى بسبب الأوضاع والظروف السائدة في تلك الفترة في الأندلس من غزوات وفتحات، فكان الشاعر يمدح خليفة الذي هو قائدا للجيش ومن بين الشعراء الذين جادت قرائحهم في فن المدح ابن دراج القسطلي يقول في قصيدة له يمدح فيها المنصور بن أبي عامر :

فَكَأَنَّ مَنْ حَانِي الشَّحَائِبِ جَوْدُهَا وَكَأَنَّ مِنْ صَعْقِ البُرُوقِ فَحُسَامُهَا

فَعَلَى سَوَاكِبِهَا إِذَا جَـادَتْ رُبَـى زَهْرِ الرَّجَـاءِ فَوَاتَرَتْ إِنْعَامَهَـا

أَنْ تُتْبِعَ الدَّلْوَ السَّجُوفَ رِشَاءَهَـا يَوْمَ الخَوَامِسِ وَالجَـوَادِ لِجَامَهَـا

لَمْ تَطَّلِـعْ زُهَرَ النُّجُومِ سَوَارِيًّـا إِلاَّ رَأَتْـهُ فِي السَّنَـاءِ أَمَامَهَـا

يَا رُبَّ شَامِخَةِ الذَّوَائِبِ وَالذُّرَى أَوْطَأَتْ أَعْلاَمَ الهُدَى أَعْلاَمَهَـا.[1]

في هذه القصيدة مدح الشاعر ابن دراج القسطلي الخليفة المنصور بن أبي عامر وكذا وصف إحدى غزواته.

الغزل : كثير من الشعراء نظموا قصائد في الغزل إما غزلا عفيفا وإما غزلا ماجنا، ونجد في الأندلس العديد منهم لكن الذي لمع نجمه في هذا الفن هو ابن زيدون الذي أبدع أيما إبداع في قصائده الغزلية، والذي اقترن اسمه باسم محبوبته ولادة بنت المستكفي، حيث أنه من الشعراء الذين يوردون اسما واحدا في شغرهم الغزلي أي أنه تغزل بفتاة واحدة فقط حيث يقول في قصيدة له :

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

أَلاَ وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ صَبَّحَنَا حَيْنٌ فَقَامَ بِنَـا لِلْحَيْنِ نَاعِينَـا

---

(1) : ابن دراج القسطلي : الديوان، تحقيق وتعليق وتقديم محمود علي مكي، منشورات المكتب الاسلامي، دمشق، ط1، 1961م، ص 295-296.

مَنْ مُبْلِغُ المُلْبِسِينَـــا بِانْتِزَاحِهِمُ حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لاَ يُبْلَى وَيُبْلِينَا
أَنَّ الزَّمَانَ الذِي مَازَالَ يُضْحِكُنَا أُنْسًا بِقُرْبِهِمُ، قَدْ عَادَ يُبْكِينَـــا.[1]

هذه القصيدة أرسلها ابن زيدون إلى ولادة بنت المستكفي، يسألها فيها أن تدوم على عهده ويتحسر على أيامها الماضية، وهي أشهر قصائده على الإطلاق أما بقية الأغراض الشعرية فقد نظموا فيها أعذب القصائد فقد نظموا في رثاء الممالك والمدن، وكانت لهم قصائد في رثاء الممالك أبو البقاء الرندي حيث وصفوا المدن والممالك وبكوا عليها بسبب فقدانها في الغزوات.

أما عن الزهد والتصوف فكان هناك شعراء في غرض الزهد والتصوف ونظموا أروع القصائد في الزهد والابتعاد عن الملذات وتسخير حياتهم وشعرهم للزهد فقط ومثال ذلك في الأندلس هو أبو إسحاق الإلبيري الذي كان شاعرا زاهدا وكان واعضا.

ولهم أيضا شعراء المولديات والبديعيات، وذلك في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حيث هذا الفن كان حتى في عهد النبي ولكن في العصر الأندلسي قام الشعراء بتطويره والتجديد فيه وإعطائهم صبغتهم ومعانيهم وكانوا يلقون هذه القصائد في المناسبات والأعياد الدينية وخاصة المولد النبوي الشريف الذين كانوا يحتفلون به بهذه القصائد ومن بين الشعراء الذين نظموا فيه نجد الشقراطيسي وأبو موسى حموا الزياني وابن خلوف القسنطيني وغيرهم من الشعراء الذين نظموا في هذا المجال أي في مدح النبي خير البرية في مطولاتهم وقد ذكروا مولده وتحدثوا عن شهر ربيع الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم على أنه شهر النور لأنه في هذا الشهر ولد فيه خير خلق الله.

---

(1) : ابن زيدون : الديوان، شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي بيروت، ط2، 1994م، ص 298

إن الاتباع في اللغة فن من فنونها وعلم بارز من أعلامها يتناقله العرب ويجري في ألسنتهم عفوا وسجية وهو جانب هام في لغتنا العربية يعكس مدى ثراها.

ثانيا : الإتباع

I. لغـــة :

الاتباع في اللغة أن يتفق لفظان متتاليان في الوزن والروي بقصد تقوية الكلام وهذا ما جاء في مختلف المعاجم.

01- معنى الاتباع في لسان العرب :

« تبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال وتبعت الشيء تبوعا : مرت في إثره واتبعه واتبعته قفاه وتطلبه متبعا له وكذلك تتبعه تبوعا وتتبعا، والاتباع موضع الشبع ».[1]

ويقال أن التبع يكون واحدا أو جماعة، وقوله عز وجل : ﴿ ...إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ... ﴾ [2]

والتبع أي الظل لأنه يتبع الشمس.

والتباعة : ملوك اليمن، وأحدهم تُبَّعْ : سمو بذلك؛ لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته.

يقال فلان متتابع العلم إذا كان علمه يشاكل بعضه بعضا لا تفاوت فيه.

02- معنى الاتباع في المعجم الوسيط :

« تتبع الشيء تبعا، وتبوعا وتباعا، وتباعة: سار في إثره وتلاه، ويقال اتبع فلانا فلانا بحقه أي طالبة به، وتبع المصلى الإمام، حذا حذوه، واقتدى به، ويقال متبع في كلامه أتى بكلمتين على وزن واحد تؤكد أخراهما الأولى، وإما أن تكون في معنى الأولى».[3]

أي هو توالي لفظين يتفقان في الوزن والروي بقصد تقوية الكلام، وقد يكون للثاني معنى، وقد لا يكون له بمعنى الأول كما قد لا يكون بمعنى الأول، وقد تفصل بين اللفظين واو العطف، كما لا يمكن استعمال اللفظ الثاني منفردا.

---

(1) : ابن منظور : لسان العرب، مج 8، دار صادر، بيروت، ص 27

(2) : سورة غافر، الآية 47

(3) : مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2002م، ص 81.

03- معنى الإتباع في معجم الصحاح :

« ت.ب.ع تبعه عن باب طرب ومشى خلفه أومرّ به فمعنى معه وكذا اتبعه واتبعه على أفعل إذا كان قد سبقه فلحقه واتبع غيره، يقال اتَّبَعَ الشيء فتبعه ويقال تبعه وأتعه مثل قوله تعالى :

﴿... إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ..﴾.**الصافات 10**.

ومنه الاتباع في الكلام مثل : « قبيح شقيح ».[1]

والتباع هو الولاء حيث يقال : فلان تابع عمله أي أتقنه وأحكمه وتتبعت الشيء تتبعا أي تطلبته متبعا له.

وكذلك يقال فلان يتتبع كلامه أي يأتي بكلمتين متتاليتين لهما نفس الوزن ويمكن أن يكونا أيضا في نفس المعنى.

04- معنى الإتباع في معجم تاج العروس :

« تبع، يتبعه، تبعا، وتباعه كسحابة : مشى خلفه، يقال تبع الشيء تباعا في الأفعال، وتبع الشيء تبوعا، سار في إثره.

التبع وهو ظل النهار.

يقال التابع و التتابعة أي الجني والجنية يكون مع الانسان يتبعانه حيث ذهب، واتبع القرآن : ائتم به وعمل بما فيه».[2]

تدور كلمة تبع حول معنى الاقتفاء والإلحاق بالشيء والسير خلفه، ويقترب معنى الإتباع من معنى التأسي والتلاوة، وأما معنى التأسي من الأسوة والإسوة كالقدوة والقدوة وهي الحالة التي يكون عليها الانسان في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا، وإن سارّا وإن ضارّا، ولهذا قال تعالى:

﴿... لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾.[3]

---

(1) : الجوهري : الصحاح، ج3، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار الملايين، بيروت، ط2، 1939م، ص 1190

(2) : الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، تحقيق مصطفى حجازي، راجعه عبد الستار أحمد فرايح، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1969م، ص 2815

(3) : سورة الأحزاب، الآية 21

وأما معنى التلاوة تلاه بمعنى تبعه متابعة وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم وتارة بالقراءة وتدبر المعنى، والتلاوة تختص باتباع القراءات بالقراءة والارتسام لما فيه من أمر ونهي وترغيب وترهيب وهو أخص من القراءات فكل تلاوة قراءة.

05- معنى الاتباع في معجم مقاييس اللغة :

« تبع التاء والباء والعين أصل واحد لا يشد عنه من الباب شيء وهو التلو والقفو، يقال تبعت فلانا إذا تلوته واتبعته إذا لحقته والأصل واحد».[1]

وعليه فإن الاتباع يعني اللحوق والقفو.

II- اصطلاحا :

- أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين.
- الأتباع ما ثبت عليه الحجة : وهو اتباع كل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في اتاع ما أمر به.
- الإتباع هو أن يميز الإنسان الخبيث من الطيب وأن يتبين طريقه على بصيرة.
- الإتباع هو المشي بالأثر و الاقتداء والائتمار والطاعة والعمل بالأثر والتقليد والارتسام.
- الإتباع هو اقتفاء شخص أو جماعة في قصيدة أو فكرة، أو خلق أو سلوك.

---

(1) : ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، دت ،ص 362.

ورود كلمة اتباع في القرآن الكريم :

وردت كلمة اتباع في سبعة أوجه :

01 - الصحبة :

قال تعالى : ﴿... قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ..﴾.[1]

02 - الاقتداء والمتابعة :

قال تعالى : ﴿... ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ..﴾.[2]

03 - الثبات والاستقامة :

قال تعالى : ﴿... ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا ..﴾.[3]

04 – الاختيار والموافقة :

قال تعالى : ﴿... وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ..﴾.[4]

05 – العمل :

قال تعالى : ﴿... وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ ..﴾. [5]

06 – التوجه إلى الكعبة أو إلى بيت المقدس في الصلاة :

قال تعالى : ﴿... وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡ ..﴾.[6]

07 – الطاعة :

قال تعالى : ﴿... لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ..﴾.[7]

---

(1) : سورة الكهف، الآية 65

(2) : سورة يسن، الآية 20

(3) : سورة النحل، الآية 123

(4) : سورة النساء، الآية 114

(5) : سورة البقرة، الآية 101

(6) : سورة البقرة، الآية 144

(7) : سورة النساء، الآية 82

ثالثا : الابتداع

I- لغة :

الابتداع في اللغة هو الابتداء وإنشاء الجديد وقد عرفه علماء اللغة كالتالي :

معنى الابتداع في معجم لسان العرب :

« ابتدع، يبتدع، ابتداعا فهو مبتدع، والمفعول مُبْتَدَعٌ للمتعدي ابتدع الشخص أتى ببدعة.

ابتدع الشخص أتى ببدعة.

ابتدع الشيء أو ابتدع في الشيء : بدعة، ابتكره واستحدثه، أنشأه على غير مثال سابق

ابتداعي اسم منسوب إلى ابتداع.[1]

والفعل في الأصل من الفعل الثلاثي بدع.

« بدع الشيء يبدعه بدعاء. وابتدعه : أنشأه وبدأه ... والبديع والبدع : الشيء يكون أولا وأبدع

وابتدع وتبَدَّع : أتى ببدعة، قال تعالى : : ﴿... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ..﴾.[2]

وبدعه نسبة إلى بدعة، وابتدعت الشيء اخترته لا على مثال سابق والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كي شيء هذا ما يختص بالأصل الأول من معاني الكلمة، وهو الاختراع والاحداث وأما ما يختص بالأصل الثاني : وهو الانقطاع و الكلال يقال أبدعت الإبل : بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال».[3]

أي أن المعنى الثاني يؤدي إلى المعنى الأول الاختراع شيء لم يسبق له مثيل إلا أن فيها معنى الانقطاع، لأنها تنقطع بصاحبها عن سلوك الصراط المستقيم.

وعلى هذا فالكلمة تدور حول معنى الإحداث والاختراع والخروج من المألوف والمعهود.

---

(1) : ابن منظور : لسان العرب، مج 8، ص 8

(2) سورة الحديد، الآية 26

(3) : نفس المرجع، ص 9

02- معنى الابتداع في معجم الوسيط :

« فعل خماسي متعدي.

مصدر ابتداع أساليب جديدة إنشاؤها على غير مثال سابق.

ابتدع سلوكا، أتى فيه ببدعة».[1]

أي أن الابتداع هو الاتيان بنماذج جديدة واستحداث منهج أو شكل.

03- معنى ابتدع في معجم الصحاح :

« ابتدع هو من الفعل بدع : أبدعت الشيء اخترعته لا على مثال سابق وإليه بديع السماوات و الأرض أي مبدعها والبديع، المبتدِع والمبتدَع أيضا.

وشيء بديع بالكسر، أي مبتدع، وفلان بدع في هذا الأمر أي بديع، وقوم أبداع ».[2]

أي أن الابتداع في معجم الصحاح يأخذ معنى واحد وهو الاختراع أي اختراع شيء من عدم ولا يوجد من قبل ابتداع على غير مثال سابق بمعنى آخر بصورة جديدة

04- معنى ابتدع في معجم تاج العروس :

« ابتدع يبتدع، ابتداعا فهو مبتدع، والمفعول مبتدع، ابتدع الشيء : ابتدع في الشيء، بدعه ابتكره واستحدثه، أنشأه على غير مثال سابق.

والابتداع هو مصدر ابتدع».[3]

ويعني الابتداع اتجاه الشيء من عدم.

الاتيان بجديد أو إعادة تقديم القديم بصورة جديدة.

05- معنى ابتدع في معجم مقاييس اللغة :

« الباء والدال والعين أصلان أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق و الآخر الانقطاع والكلال.

فالأول قولهم : أبدعت الشيء قولا أو فعلا إذا ابتدعته لا عن مثال سابق

---

(1) : مجمع اللغة العربية : معجم الوسيط، ص 43

(2) : الجوهري : الصحاح، ص 1184

(3) : الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، ص

والعرب تقول ابتدع فلان الركي إذا استنبطه، وفلان بدع في هذا الأمر أي ما كان أوّل والأصل الآخر قولهم : « أبدعت الراحلة، إذا كلت وعطبت و أُبْدِعَ بالرجل او عطبت وبقي منقطعا به».[1]

في المعنى الأول إيجاد الشيء إيجاد الشيء من غير سبق مادة، أو بمعنى آخر الإبداع بمعنى التكوين والإحداث وكذلك الابتداع هو لإنشاء صنعة بلا احتذاء أو اقتداء أي عن غير مثال سابق والمعنى الثاني الانقطاع والكلال يؤدي إلى المعنى الأول اختراع الشيء لا عن مثال سابق إلا أن فيها معنى الانقطاع لأنها تتقطع بصاحبها عن السلوك المعتاد.

وعلى هذا فالكلمة تدور حول معنى الإحداث والاختراع والخروج عن المألوف والمعهود

II- اصطلاحا :

استخراج الطريقة المبتدعة أو استخراج البدعة للسلوك عليها، ويعرفها الجرجاني : « الإبداع والابتداع : ايحاء شيء غير مسبوق بمادة ولازمان، كالعقول وهو يقابل التكوين، لكونه بالمادة والأحداث، لكونه مسبوقا بالزمان، والتقابل بينهما تقابل التضاد إن كانا وجوديين، بأن يكون الابتداع عبارة عن الخلو عن المسبوقية بمادة أو التكوين عبارة عن المسبوقية بمادة، أو يكون بينهما تقابل الإيجاب والسلب، وإن كان أحدهما وجوديا و الآخر عدميا».[2]

بمعنى إيجاد الشيء من لا شيء أي من العدم وهو اختراع وابتداء وإنشاء لشيء لم يكن، وقد يكون بإضافة زيادة على ما كان أو بإنقاص منه بحيث يصبح على غير ما كان عليه في السابق.
الابتداع هو القدرة على التخيل واختراع أشياء جديدة عن طريق التأليف بين الأفكار وتعديلها أو تغييرها، الابتداع هو إنشاء وابتكار شيء جديد لم يكن موجودا من قبل سواء أكان منتجا صناعيا أو تجاريا، أو كان طريقه جديدة أو فكرة أو تصويرا مبتكرا.

---

(1) : الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، ص182

(2) : ابن فارس : مقاييس اللغة، ص 209

الفصل الثاني

الفصل الثاني : دراسة تطبيقية لشعر " ابن هانيء " الأندلسي

01- المقدمة الطللية

02- المقدمة الغزلية

03- وصف الرحلة

04- وصف الطبيعة

05- مقدمة الشكوى

06- مقدمة المدح المباشر

حافظ الشعراء في العصور الأدبية المتتالية على منهج القصيدة، وقلما دخل شاعر إلى موضوعه من دون مقدمة، وقد شغلت قضية مطالع القصائد النقاد منذ القديم وكثر حوارهم حول مقدمات القصائد ومن بينهم " ابن رشيق " حيث يقول : « فإن الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود شعره فإنه أول ما يقرع السمع». [1]

وقد سار بعض شعراء الأندلس على نهج أسلافهم، وقدموا لموضوعاتهم وأغراضهم، واهتموا بالمقدمة، واستهلوا قصائدهم بمطالع عبروا من خلالها ثم إلى الغرض الأساسي، حيث أن ابن هانيء الأندلسي من أهم الشعراء الذين اهتموا بالمقدمة وتأثر بمن قبله من الشعراء، حيث تعددت مقدمات قصائده بتعدد قصائده مع ما أضافه إلى موروث الشعر لمحات التجديد.

01- المقدمة الطللية :

من أبرز التقاليد التي استمرت في الشعر الأندلسي، تصدر المقدمة الطللية، فقد افتتح ابن هاني بعض مدائحه بالوقوف على الأطلال وقوفا تقليديا له قصير، فهو ينظر إلى ديار الأحبة التي أقفرت من السكان، ويتذكر رحيلهم، ويعود بذاكرته إلى أيامه الماضية التي لا يمتلك منها إلا ذكرى ماض سعيد حيث يقول في إحدى قصائده :

أَقْوَى المُخَصَّـــبُ مِنْ هَـــادٍ ومِنْ وَهِيـدٍ وَوَدَّعُـونَا بِطَيَّـــاتِ عَبَـــادِيدِ
مَا أَنْـــسَ لاَ أَنْسَ إِجْفَـــالَ الحَجِيجِ بِنَـــا وَالرّاقِصَاتُ مِـنَ المُهْرِيَةِ القُـود
ذَا مَوقِفُ الصَّبِّ مِنْ مَرْمَى الجَمَارِ وَمِنْ مَشَاخِبِ البُدْنِ قَفْرًا غَيـرَ مَعْهُودِ
وَمَوقِـفُ الفَتَيَـــاتِ النّاسِكَاتِ ضُـــحًـــى يَعْشُرْنَ فِي حِبَارَاتِ الفِتْيَةِ الصّيدِ
يُحرِمنَ فِي الرَّبطِ مَنْ مَثْنَـــى وَوَاحِـــدَةٌ وَلَيسَ يَحرِمْنَ إِلاَّ فِي المَوَاعِيـدِ.[2]

---

(1) : ابن رشيق القيرواني : العمدة في مجالس الشعر ونقده، مصر، دط، 1955م، ص 18

(2) : ابن هاني الأندلسي : الديوان، تحقيق وتقديم كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980، دط، ص 89.

لقد صور الشاعر في مطلع قصيدته أطلال الأحبة، ورمي الجمار وتحدث عن الإبل فوصفها بالراقصات، إلى غير ذلك من الأطلال؛ لقد اتبع هانيء المنهج التقليدي في استعمال بعض مدائحه بوصف الطلل لكنه لم يوفر لمقدمته كثيرا من مقوماتها كما بينها شعراء الجاهلية ويتجلى الفرق واضحا في مقدمته لأنه لم يفصل في ذكرى الأطلال كما فعل شعراء الجاهلية في مقدماتهم الطللية، وكذلك لم يطل في المقدمة الطللية بل جاءت مقدمته قصيرة بالنسبة لمقدمة الشاعر الجاهلي، ثم انتقل إلى تصوير نفسه :

لاَ مِثْلَ وَجْدِي بِرَيْعَانِ الشَّبَابِ وَقَدْ رَأَيتُ أَلْمُودَ غُصْنِي غَيرَ أَلْمُودِ

والشَّيبَ يَضْرِبُ فِي فُودِ بَارِقِـــــهِ والدَّهْرُ يَقْدَحُ فِي شَمْلِـــي بِتَبْدِيدِ

وَرَابَنِي لَونُ رَأْسِي إِنَّهُ اخْتَلَفَـــتْ فِيهِ الغَمَائِمُ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُودِ.[1]

صور الشاعر نفسه وهو مكتئب وحزين من حلول الحادثات، وخاصة الشيب، وكيف يغير لون رأسه حيث شبهه بالغمام، وكذا يتألم لما يحدثه الدهر تفرق وتبديد الشمل، وكبر السن وغيرها.

وفي قصيدة أخرى : يمدح فيها جعفرا ويحي ابني علي يقول مستهلا بمقدمة طللية :

قِفَا فَالأَمْرُ ماَ سَرَيْنَا وَمَا نَسْرِي وَإِلَّا فَمَشْيًا مِثْلَ مَشْيِ القَطَا الكَدْرِي

قِفَا نَتَبَيَّنْ أَينَ ذَا البَرقُ مِنْهُـــمُ وَمِنْ أَيْنَ تَسْرِي الرِّيحُ عَاطِرَةُ النَّشْرِ.[2]

ثم ينتقل إلى تصوير مشاعره، فهو يحن إلى تلك الأرض بكل ما فيها من تراب وضباء وآثاره ويود لو يبقى في تلك الديار التي تذكره بأيامه التي مضت، فقد ابتلته الأيام بنار الفراق والبعد عن الأحبة، ولكن ما يعز به عن فراق أحبته أنه راحل إلى ممدوح كريم فيقول :

---

(1) : الديوان : ص 90

(2) :الديوان : ص 153

فَهَلْ عَلِمُوا أَنِّي أَسِيرٌ بِأَرْضِهِـمُ وَمَالِي بِهَا غَيْرُ التَّعَسُّفِ مِنْ خَبَـرِ
وَمَنْ عَجَبَ أَنِّي أُسَائِلُ عَنْهُـــمُ وَهُمْ بَيْنَ أَحْنَاءِ الجَوَانِحِ وَالصَّـــدْرِ
وَلِي سَكَنٌ تَأْتِي الحَوَادِثَ دُونَـهُ فَيَبْعُدُ عَنْ عَيْنِي وَيَقْرُبُ مِنْ فِكْرِي
إِذَا ذَكَرَتهُ النَّفْسُ جَاشَتْ لِذِكْـرِهِ كَمَا عَثَرَ السَّاقِـــي بِكَأسٍ مِنْ خَمْـرِ
وَلَمْ يَبْقَ لِي إلاَّ حَشَاشَةُ مُغْـــرَمٍ طَوَى نَفْسُ الرَّمْضَاءِ فِي خُلَلِ الجَمْرِ
وَ مَا زِلْتُ تَرْمِينِي اللَّيَالِي بِنُبْلِهَـا وَأَرْمِي اللَّيَالِـــي بِالتَّجَلُّدِ وَ الصَّبْرَ
وَأَحْمِلُ أَيَّامِي عَلَى ظَهْرِ غَـادَةٍ وَتَحْمِلُنِي مِنْهَـــا عَلَـــى مَرْكَبٍ وَعْرِ.[1]

ان ابن هاني يصف الطلل لكنه ليس أسير المعاني التقليدية ومقومات طللية الجاهلين فهو يصف الآثار والنؤي والعرصات وغيرها، ولا يرى بعر الأرام ولا ينتقل وإنما ينتقل انتقالا سريعا بعد مقدمة تقليدية الفكر جديدة المعنى.

02- المقدمة الغزلية :

لقد كثر انتشار المقدمة الغزلية في صدور المدائح في الشعر العربي، ولا يقل انتشارها عن انتشار المقدمة الطللية، حيث كان الشعراء يستهلون قصائدهم بمطلع غزلي وذلك بوصفهم المعبوبة السوداء، كان ذلك غزلا عفيفا أو غزلا ماجنا « فقد افتتح الشعراء الجاهليون قصائد كثيرة بالمقدمة الغزلية تتألف هذه المقدمة من الحديث عن صد المحبوبة وهجرها أو بعدها وانفصالها، وما يخلفه البعد والهجر والفراق من تعلق شديد وشوق مستبد ودموع غزار يسكبها الشاعر حسرة وألما ولهفة، وسرعان ما تغدو على خاطره أيامه الماضية السعيدة، وذكرياته الحلوة الجميلة، حيث كان يلتقي بمحبوبته ويبوح كل منهما لصاحبه بحبه، وتبادله إعجابا بإعجاب وشوقا بشوق، حتى إذا ما انتهى من ذلك معنى يصف محاسنها ومفاتن جسدها، وهو وصف التفتوا فيه إلى المحاسن الجسدية أكثر من التفاتهم للمحاسن المعنوية...».[2]

---

(1) : الديوان: ص 153- 154

(2) : حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، دط، 1974م، ص 128

هذا النهج وصفه الشعراء الجاهليون وسار عليهم الشعراء من بعدهم، فلم يكلفوا أنفسهم عناء التغيير إلا ما ندر، وقد شاعت المقدمة الغزلية كما رسمها شعراء الجاهلية في صدور القصائد بكثرة، واقتفى فيها الشعراء العرب في الأندلس آثار أسلافهم، وقد كان ابن هانيء محبا لتقليد الشعر العربي؛ فهو يقول في مقدمة غزلية لإحدى قصائده :

أَحْبِبْ بِهِ قَنَصًـــا إِلَـــى مُتَقَنِّـــصِ وَفَرِيضَةٌ تَهْدِي إِلَى مُسْتَفْرَصِ

تُدْنِيـــكَ مِنْ كَبِدٍ عَلَيْـــكَ عَلِيلَـــةٌ وَتَمُدُّ مِنْ جَيدِ إِلَيـــكَ مُنَصَّصِ

شَعْثَاءُ تَسْرِي فِي الكَرَى بِمَحَجَرِ لَمْ تَكْتَحِلْ وَغَدَائِرٌ لَمْ تَعْقَـــصِ

ثَقُلَتْ رَوَافِدُهَا وَأَدْمَجَ خِصْـــرُهاَ فَأَتَتْكَ بَينَ مُفْعَـــمٍ وَمُخَمَّـــصِ.[1]

تجسيد الشاعر أحد مقومات المقدمة الغزلية عندما يصف محبوبته وصفا مفصلا، ثم ينتقل ليفتخر بنفسه فيقول :

ذَرْنِي وَمَيدَانُ الجِيَـادِ فَإِنَّمَـــا تُبْلَى السَّوَابِـــقُ عِنْدَ مَدِّ المَقْبَـــصِ

لَقِيتُ نَعْمَاءَ الحُطُوبِ وَبُؤْسَهَـا وَسَبَكْتُ سَبْـــكَ الجَوْهَرِ المُتَخَلِّـصِ

فَإِذَا سَعَيتُ إِلَـــى العُلَى لَمْ أَتَّئِد وَإِذَا اشْتَرَيْتُ الحَمْدَ لَمْ اسْتَرْخِـص

شَارَفْتُ أَعْنَانَ السَّمَاء بِمُهِمَّتِي وَوَطِئْتُ بِهَـــرَامِ النُّجُـــومِ بِأَخْمَصِ

في هذه المقدمة تتجلى مظاهر التقليد عند ابن هانيء، فكانت في مقدمته الغزلية ظاهرة التكلف استمد عناصرها من الموروث القديم فصفات فتاته لا تختلف عن صفات فتاة الشاعر الجاهلي.

---

(1) : الديوان ص 179

(2) : الديوان: ص 180

وتتجلى المحافظة على المقدمة الغزلية التقليدية وفي مقدمته لقصيدة فيها ينهل من نبع الألفاظ الجاهلية ومعانيها حيث يقول :

لَمن صَولَجَـــانٌ فَوقَ خَدِّكِ عَــابِثٌ وَمَنْ عَاقَدَ فِي لَحْظِ طَــرْفِكِ نَافِثٌ
وَمَنْ مُذْنِبٌ فِي الهَجْرِ غَيْرِكِ مُجْرِمٌ وَمَنْ نَاقِضٌ لِلْعَهْدِ غَيْرُكِ نَاكِـــثٌ
عُيُـــونُ المَهَـــا لاَ سمكهن ملبَثٌ وَلاَ أَنَا مِمَّــا خَـــامَرَ القَلْبَ لاَبِــثٌ
أَيَحْسَبُ سَارِي اللَّيْلَــةَ البَدْرَ وَاحِــدٌ وَفِي كَلَلِ الأَظْعَـــانِ ثَانٍ وَثَالِــث
سَرَينَ بِقَضبِ البَـــانِ وَهِيَ مَوَائِـدُ تُثْنِى وَكَثَبُ الرَّمْــلِ وَهِي عَثَاعِثُ.[1]

لقد وصف ابن هاني محبوبته وصفا دقيقا، فأخذ من معين الشعر الجاهلي، حيث استخدم نفس الألفاظ ونعتها بنفس النعوت؛ الفتاة الجاهلية مثل عيون المها وكتب الرمل ومشيتها كتموج الحية، وهي حسناء تامة الخلق، حيث رسم لمحبوبته صور تشابه الصورة التي رسمها الشاعر الجاهلي.

أما في مقدمة غزلية أخرى يشكو فيها ألم الفراق لأنه افترق عن محبوبته بسبب الوشاة ويشتكوا فيها من ظلم الحب وجور المحبوبة أيضا حيث يقول :

تَظَلَّم مِنَّـــا الحُبُّ وَالحُبُّ ظَــالِمٌ فَهَلْ بَيْنَ ظَلاَمينِ قَــاضٍ وَحَــاكِمِ
وَفِي البَينِ حَرْفٌ مُعْجَمٌ قَدْ قَرَأْتُه عَلَى خَدّهَـــا لَوْ أَنّنِي مِنْهُ سَـــالِمِ
وَقَدْ كَانَ فِيهَا أَثَرُ المِسْكِ فَوْقَــهُ دَلِيلٌ وَمِنْ خَلْــفِ الحِدَادِ المَـــآتِمِ
لَيَالِي لاَ آوِى إِلَى غَيْرِ سَاجِـــعٍ بِبَيْنِكَ حَتَّـــى كُلّ شَيءٍ حَمَـــائِمٌ
وَلَمَّا التَقَتْ أَلْحَاظُنَا وَوَشَاتُنَـــا وَأَعْلَنَ سِرُّ الوَشِي مَا الوَشَي كَاتِــمٌ
وَقَالَتْ : قِطَا سَارَ سَمِعْتُ حَفِيفَهُ فَقُلْتُ : قُلُوبُ العَاشِقِيــنَ الحَوَائِــمُ.[2]

---

(1) : المرجع نفسه، ص 61.

(2) : الديوان : ص 337

ويبرز الشاعر في مقدمته ظاهرة الحوار التي تجلت في كثير من المقدمات الغزلية القديمة ابتداء من امرئ القيس وحتى عمر بن أبي ربيعة، وإلى عصر ابن هاني الذي ضمن حواره صورة خوف المحبوبة وقلقها.

ويختلف ابن هاني في مقدماته الغزلية بين مقدمة وأخرى، ففي هذه المقدمة يقترب أسلوبه من أسلوب عمر بن أبي ربيعة، فيتبع أسلوب الحوار، ويتحدث عن الأوصاف الجسدية، وتارة يبكي ويذرف الدموع لفراق المحبوبة، وصورة الغزل الباكي والهيام.

قد رسمها شعراء الجاهلية ووضحوا معالمها، واتبعها الشعراء من بعدهم، وابن هانيء لا يطيل في المقدمة الغزلية كما يطيل الشاعر الجاهلي، وكما يستمد المعاني من الشعر القديم كان يستمدها من البيئة الأندلسية والطبيعة الخلابة.

03- وصف الرحلة :

كثر وصف الرحلة في الشعر القديم وذلك لصلته الوثيقة بحياتهم التي تعتمد على الترحال المستمر وعدم الاستقرار، حيث امتد هذا الوصف إلى مقدمات بعض القصائد الأندلسية تقليدا للشعر المشرقي القديم، حيث تعد مقدمة وصف الرحلة : « بمثابة خلفة وسطى بين بكاء الطلل الذي يلتزم بمخلفات أهل صاحبته ووصف ديارهم وآثارهم التي تركوها من نؤي وأثاف، فهي تتصل بهؤلاء الناس وتتعلق بتلك المشاهد الحركية التي تمتد فيها الأيدي مصافحة في لحظة الوداع ».[1]

تعتبر مقدمة الرحلة واسطة بين الأطلال من ديار وآثار، وبين الأحبة الذين سكنوا تلك الديار ثم ارتحلوا وابتعدوا عنها ولم يبق منهم آثارهم.

---

(1) : عبد الله التنطاوي : قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية، دار الثقافة، القاهرة، دط، 1982م، ص121

واتبع بعض شعراء الأندلس التقاليد الشعرية فامتدت مقدمة وصف الرحلة إلى صدور بعض لابن هاني الأندلسي بوصف الظعن متعبا بذلك نهج الشاعر الجاهلي حيث يقول :

أَقُولُ دَمِى وَهِيَ الحِسَانُ الرَّعَابِيبُ وَمِنْ دُونِهِ أَسْتَارُ القِبَـــابِ مَحَـــارِيبِ

نَوَى أَبْعَــدْتُ طَائِيَــةً وَمَزَارُهَا أَلاَ كُلُّ طَائِـــيٍّ إِلَـــى القَلْبِ مَحْبُـوبُ

سَلُو طَـــيءَ الأَجبَالِ أَينَ خِيَامُهَا وَمَا أَجَـــأَ إِلَّا حِصَـــانٌ وَيَعبُـــوبُ

هُمْ جَنَبُوا ذَا القَلبِ طَوعُ قِيَـــادِهِمْ وْقْدْ يَشْهَدُ الطَّرْفَ الوَغَى وَهُوَ مَجْنُوبٌ

لعل البيئة الحضرية التي يعيش فيها الشاعر، وبعدها عن البادية ونوقها وهوادجها كان لها أثر قصر وصف الظعن، والبعد عن التفضيل في ذلك، فالشاعر يجمع في وصفه بين الأماكن والخيل، وكأنه يتعجل الأمر ليصف حالته النفسية، وما تركه الرحيل من فراق وألم وحزن حيث يقول :

وَمَا رَاعَنِي إِلّا ابنَ وَرْقَاءَ هَاتِفٌ بِعَيْنَيْهِ جَمْرٌ مِنْ ضُلُـــوعِي مَشْبُوبٌ

وَقَدْ أَنْكَرَ الدَّوْحَ الّذِي يَسْتَظِلُّـــهُ وسحت لَهُ الأَغْصانُ وَهِيَ أَهَاضِيبُ

وَحَثُّ جَنَاحَيهِ لِيَخْطِـــفَ قَلْبَـــهُ عِشَاءَ سَبَانِيقِ الدُّجَـــى وَهُوَ غَرِيـبُ

أَلاَ أَيُّهَا البَاكِي عَلَى غَيرِ أَيْكَـــة كِلاَنَا فَعِيـدُ بِالسَّمَـــاوَةِ مَغْلُـــوبُ

فُؤَادُكَ خَفَّاقٌ وَوَكْرُكَ نَـــازِحٌ وَرَوضُكَ مُطْلُولٌ وَبَانُـكَ مَهْضُـــومٌ

هَلُمَّ عَلّيَّـا إِنِّـــي أَقِيكَ بِأَضْلُعِـي فَأَمْلِكُ دَمْعِـــي عَنْـــكَ وَهُوَ شَآبِيبُ

---

(1) : الديوان: ص 34

(2) المرجع نفسه : ص 35

يبدوا اهتمام الشاعر بالتصوير النفسي أكثر من اهتمامه بوصف الظعائن لأنه لم يرها إلا من خلال صورة الشعراء القدامى لتلك الهوادج، وهي صورة بعيدة العهد عن واقع البيئة التي يعيش فيها، وكونه محب لتقليد المشارقة وتمسكه بالأسلوب الجاهلي في الشعر، وقد رسم الشاعر لوحة متقنة لرحيل الأحبة، مزج فيها بين مشهدين، مشهد الفراق ومشهد الحزن، أما الفراق فهو بالرحيل بما فيه من هوادج وقباب وفتيان وفتيات، وأما الحزن بما فيه من ألم دفين ودموع وذكريات.

ويستهل ابن هانيء قصيدة أخرى يصف فيها ظعن أحبته الراحلين وتأسفه لفراقهم يقول فيها :

أَحْبِبْ بِتياكَ القِبَـــابَ قِبَـــابَ لاَ بِالْحَدَاةِ وَلاَ بِالرُّكابِ رُكَابَ

فِيهَا قُلُوبُ العَاشِقِينَ تَخَالُهَـــا عَنهَا بِأَيدِي البِيضِ وَالعِنَـــابَ

بِأَبِي المَهَا وَحْشِيةً أَتبَعتُهَـــا نَفْسًا يَشِيعُ عَيسهَـــا مَعَابَـــا

والله لَولاَ أَنْ يَسفِهُنِـــي الهَوَا وَيَقُول بَعضُ القَائِلِينَ تصَابـَـا

لَكَسَرتُ دُملُجهَا بِضِيقِ عِنَاقِهَا وَرَشَفتُ منْ فِيهَا البُرُودَ رَضَابَا

وَإِذَا أَرَدتُ عَلَى المَشِيبِ وَفَادَة فَاجعَل إِليهِ مَطِيكَ الأَحقَـــابَ

فَلتَأخُذنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَمَامَـــةً وَلتَدْفَعَنَّ إِلَى الزَّمَانِ غـــرَاب

مَاذَا أَقُولُ لِغَيبِ دَهـــرٍ جَائِـــرٍ جَمَعَ العُدَاةَ وَفَـــرَّقَ الأَحْبَـــابَ

يصور الشاعر مشاعره وقد رحل الأحبة وهو غاضب بسبب هذا الرحيل ويحن إلى القباب التي تضم بداخلها أحبته، ولكنه عاجز على توديعهم خشية اللوم والاتهام بالتصابي، ثم ينتقل ليصور لنا رحيل الشباب وحلول المشيب وهو في حالة نفسية كئيبة بسبب لوعة فراق الأحبة من جهة، وفراق الشباب من جهة أخرى.

---

(1) : الديوان : ص 49-50

أحسن الشاعر وصف الرحلة والظعن وكانت وسيلته للتعبير عن ألمه وحزنه حين رحليه وابتعاده عن أحبته حيث أن المقدمة لها أبعاد واسعة تتمثل في رحيله من وطنه بسبب الظروف، لذلك مقدمة الظعن تكسب بعدا رمزيا يخرج لها من دائرة التقليد المجرد.

04- وصف الطبيعة :

« يتجلى انغماس الشاعر الأندلسي في طبيعة الأندلس وتجاوبه مع مفاتنها وسحرها مما أدى إلى ازدهار وصف الطبيعة ويحكي منذ أن ظهر على الشعر خلال العصر العباسي، بدا جليا أن مقدمات النسيب التي كانت تستهل بها القصائد قد أخذت تنحسر عن بعض المدائح على حين أصبح وصف الطبيعة هو الذي يتوج الكثير من القصائد، وقد تجلت هذه الظاهرة في كثير مما قاله أبو تمام في المعتصم، وما قاله البحتري في المتوكل».[1]

وقد امتدت يد الطبيعة لتمسك بمقدمات قصائد المديح في ديوان ابن هانيء، ففي مقدمة قصيدة في مدح المعز الدين الله الفاطمي يصور الشاعر بعض مشاهد الطبيعة منها ومض البرق وضمنها قوله :

هَلْ كَانَ ضَمخٌ بِالعَبِير الرِّيحَ مُزنٌ يَهُزُّ البَرقَ فِيهِ صَفِيـــحَ

تَهْدِي تَحَيَّاتُ القُلُوبِ وَإِنَّمَـــا تَهدِي بِهِنَّ الوَجْدَ وَالتَّبْرِيـــــحَ

شَرَقتُ بِمَاءِ الوَردِ بَلَّلَ جَيبِهَا فَسِرتُ تَرَقرَقَ دَرُّهُ المَنضُوحَ

أَنْفَاسُ طَيبٍ بِتنَا فِي دَرعٍ وَقَدْ بَاتَ الخَيَـــالُ وَرَائَهُنّ طَرِيـحَ

ربط الشاعر بين ومضات البرق وخفقات القلوب، فالبرق والتغريد قد أدخلا الأرق على نفس الشاعر وحرماه نوم الليل، فهو حزين كئيب لفراق أحبته حيث يقول :

---

(1) : عمر الدقاق : ملامح الشعر الأندلسي، جامعة حلب، دط، 1978م، ص 214.

(2) : الديوان : ص 69.

بِتنَا يَأرِقُنَا سَنَاهُ نَمُوحَـــــا وَيشَوقِنَا غَرَّدَ الحَمَامُ صُدُوحَا

أَمسهَدِي لَيلُ التَّمَامِ تَعَالِيَــا حَتَّــى تَقُومَ بِمَــأتَمٍ فَتَنُـــــوحَ

وَذرا جَلاَبِيبًا تَشُقُّ جُيُوبُهَــا حَتَّى أَغِر جها دَمًــا مَسفُوحَــا

فَلَقدْ تَجَهَّمَنِي الفِرَاقُ أَحِبَّتِي وَغَدًا سَمِيــحُ المُلْهِيَاتِ بِرِيــحَ

الشاعر لا يصف الطبيعة وصفا جامدا وإنما يدخل إلى وصفه عنصر الإحساس إذ يمزج بين وصف عناصر الطبيعة وتصوير ما يختلج في نفسه من مشاعر الفرقة والبعد عن الأحبة، مثله مثل الشاعر الجاهلي ولكن ابن هاني استهل قصيدته بوصف الطبيعة على عكس الشعراء القدماء الذين كانوا يوردون مشاهد الطبيعة في القصيدة ككل ولا يقدمون بها لقصائدهم ، حيث أخذ الشاعر المعنى من قاموس الشعر القديم وضمه في قصيدته مستهلا بوصف الطبيعة من برق وحمام وليل وغيرها.

05- مقدمة الشكوى :

الشكوى هي الوتر الحزين الشجي في قيثارة الشاعر أوجبتها الغربة وقسوتها أو الدهر ونوائبه أو الشيب و آهاته، مقد ولدت مقدمة الشكوى مع الشاعر الجاهلي لتمتد إلى الشعر الأندلسي، فكثير من الشعراء عانوا من آلام الغربة ووقف لهم الدهر بالمرصاد فسجلوا شكواهم وكثير منهم أحزنهم الشيب ورحيل الشباب لأنها ظاهرة ترهق إحساس الشعراء وتقلقهم، وتزيد من تحصرهم وآلامهم، فهي نذير بأقوال الشباب وخطوة أولى نحو الشيخوخة؛ والضعف هذا الشعور الحزين نقله الشاعر وسخر له مقدمة الشكوى، وقد افتتح ابن هانيء قصيدته يودع فيها أيام شبابه ويشكوا من حلول الشيب في رأسه فيقول :

تقد خُطَى أَو تَأخّرُ خُطَـــى فَإِنَّ الشَّبَابَ مَشَى القَهقَرى

كَانَ مَلِيَّــا بِغَدْرِ الحَيَـــــاةِ وَاعَجَبَ مِنْ غَدَرِهِ لَوْ وَفَى

وَمَا كَانَ إِلّا خَيَـــــــالاً أتم وَمزنا تَسْرِي وَبَرْقٌــا شَرَى

لَبِسْتُ رِدَاءَ المَشِيبِ الجَدِيـدِ وَلَكِّنَّهَـــــا جَــدّة لِلبَلَــى

فَأَكْدَيتُ لَمَّا بَلَغْتُ المَـــــدَى وَعَرَيتُ لَمّــا لَبِسْتُ النُّهَى

---

(1) : الديوان : ص 70

وقد أدخل الشاعر على مقدمة الشكوى عدد من العناصر، فقد حن إلى أيام الصبا والغزل، وبكى شبابه مودعا.

06- مقدمة المدح المباشر :

تعد مقدمة القصيدة في الشعر العربي جسرا يعبر الشاعر من خلاله إلى غرضه الرئيسي، وعلى الرغم من تعدد المقدمات وتنوعها، فكان بعض الشعراء يدخلون إلى أغراضهم الأساسية دون مقدمات، **وكثرت** هذه الظاهرة في الشعر الأندلسي وخاصة شعر " المديح " « ويمكن أن نرجع هذه الظاهرة في جانب من جوانبها إلى الموقف و الوقت، وخاصة عند الشعراء الذين استوت قصائدهم أعمالا فنية رائعة، ونعني بالوقت أن الشاعر كثيرا ما كان يسرع للتعبير عن نشوة النصر».[1]

في دواوين الشعر الأندلسي كثرت قصائد المدح التي تخلت عن المقدمات، ولعل ذلك يعود إلى رغبة الأندلسي الذي يعيش في بيئة متحضرة في التحقيق من المقدمات التي تقيده بتقاليد القصيدة العربية، وقد بدأ ابن هانيء عددا وافرا من مدائحه بالمدح مباشرة عندما مدح أب الفرج محمد بن عمر الشيباني فيقول :

حَلَفتُ بِالسَّابِغَاتِ البِيضِ وَالبَلَـى ... وَبِالأَسِنَّـــــةِ الهِنْدِيَّـــــةِ القَضَـــبِ

لأَنْتَ ذَا الجَيْشُ ثُمَّ الجَيشَ نَافِلَـــةً ... وَمَا سِوَاكَ فَلغُـــــو غَيْـرَ مُحْـــتَسَبِ

وَلَو أَشَرتُ إِلَى مِصْرَ بِصَوتِكِ لَنْ ... تَحوجـكَ مِصْـــرَ إِلَى رَكْضٍ وَلاَ حَبَبِ

وَلَو ثَنَيتَ إِلَـــى أَرضِ الشَّـــامِ يَدًا ... أَلقَتْ إِلَيكَ بِأَيدِي الذُّلِّ مِـــــنْ كُثُـــبِ

لَعَلَّ غَيرُكَ يَرجُو أَ يَكُونَ لَـــــهُ ... عُلُو ذِكرُكَ فِي ذَا الجَحْفِ اللَّجِيـــــــرِ

أَوْ أَنَّ يَصْرِفَ هَذَا الأَمْرَ خَاتِـــمَةً ... كمَا يَصْرِفُ فِـــي جِدٍّ وَفِي لَعِـــبِ

---

(1) : الديوان : ص 20

(2) : حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، ص 109.

(3) : الديوان : ص 54

عندما يبدأ الشاعر قصيدته بالمدح مباشرة ووصف الجيش وذكر محاسن ممدوحه ألا وهو القائد الذي يعطيه كل صفات العظمة والقوة والشجاعة، طرق باب المدح مسرعا وكأنه يود اللحاق بالقائد قبل رحيله، ولم يمهد لهذه القصيدة بمقدمة تقليدية وإنما افتتحها بغرضه الأساسي ألا وهو المدح مباشرة.

تجلى التشبع في شعر ابن هانيء :

يتجلى تشبيع ابن هانيء الأندلسي في أغلب قصائد ويبدو واضحا في شعره فمن قوله :

مَا شِئْتُ لَمَّا شَاءَتِ الأَقْـــدَارُ فَاحكُمْ فَأَنْتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ

وَكَأَنَّمَـا أَنتَ النَّبِـــيُّ مُحَمَّـدُ وَكَأَنَّمَا أَنْصَارُكَ أَنْصَارُ

أَنْتَ الذِي كَانَتْ تُبَشِّرُنَا بِـــهِ فِي كُتُبِهَا الأَحْبَارُ وَالأَخْبَارُ

هَاذَا إِمَامُ المُتّقِيـنَ وَمَـنْ بِـــهِ قَدْ دَوَّخَ الطُّغْيَانُ وَالكُفَّارُ

هَاذَا الذِي تُرْجَى النَّجَاةُ بِحُبّهِ وَبِهِ يُحِطُ الأَسْرَ وَالأَوْزَارُ

هَاذَا الذِي تُجْدِي شَفَاعَتَهُ غَدَا حَقًّا وَتَخْمُدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارُ

سبب قول القصيدة :

« من الأسباب التي أدت إلى قول ابن هانيء هذه القصيدة في المعز لدين الله الفاطمي أن ابن هانيء لم يقف أمام المعز إلا بعد اتصاله بالأمير جعفر والقائد جوهر وأخيرا وصل إلى المعز فرأى عظمة الملك الفاطمي وجلال الدولة الفاطمية، حيث كان هذا أول لقاء فانطلق الشاعر في قول هذه القصيدة ».[2]

---

(1) : الديوان : ص 146

(2) : زاهد علي : تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف، دط، 2008م، ص 18

إن ولع الشاعر وتعلقه الكبير بالمذهب الإسماعيلي جعله يهم هياما كبيرا ينهج منهج أهله والتفسخ فيه والذوبان في أفكاره ومبادئه، فكان لسان حاله أن يكون إسماعيلي المذهب، فاطمي اللغة وبرهان ذلك تشبع قصائده وارتوائها من المذهب الشيعي الفاطمي، حيث أصبحت قصائده أعلاما ترفع فخرا وعزا لأهل الفاطمية، وتقع سيوفا لأعداء هذا المذهب فتنفجر قصائده مدحا وفخرا بمناقب وفضائل المعز لدين الله الفاطمي عليه، فيعدد فيها صفاته وعظمته ومدح آل البيت إلى غير ذلك.

ينفي أصحاب الاسماعيلية صفات الله عنه، وأنه لا يوصف بصفات المغلوقين، ونفي الصفات عند الله تترد به وأن توحيد الله في معرفة حدوده.[1]

الاسماعيليون ينزهون الله سبحانه وتعالى عن جميع الصفات كالصانع والقادر إلى غير ذلك، ولا يطلقونها على الإمام أو الحاكم كما فعل ابن هانيء على المعز فأوقع عليه صفة الواحد القهار، وهي صفة من صفات الله واسم من أسمائه الحسنى.

يعتقد الاسماعيليون بأن أوصاف الإمام هي كل وصف اتصف به بني الله صلى الله عليه وسلم من كونه أمين الله وهادي الخلق وشفيع الناس، أي هو مشارك في كل فضيلة إلا في الرسالة والنبي بسبب هذه الفضيلة أفضل من الإمام.[2]

يشير الشاعر إلى أحودية الممدوح من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وبأنه الخليفة الشرعي وهو يمتزج بصفات ألا وهي الشفيع دون سواه فهو شفيع للمؤمنين و يقيهم عذاب النار، حتى أن جهنم تخمد بأمره.

نلاحظ أن الشاعر متأثر بالقرآن الكريم حيث أننا نجد اقتباسات واضحة منها :

لَوْ تَلْمِسُونَ الصَّخْرَ لانْحَبَسَتْ بِهِ وَتَفَجَّرَتْ وَتَدَفَّقَتْ أَنْهَارُ.[3]

---

(1) : نجلاء لطفي : الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية القديمة، كلية الدراسات الاسلامية، جامعة الأزهر، ص 47.

(2) المرجع نفسه: ص 47.

(3) : الديوان: ص 130.

ومن فرط حب ابن هانيء للمعز وتفانيه في خدمة الدعوة الفاطمية يجنح به الحماس المذهبي إلى ما يشبه الحب الصوفي، وإذا به يرى الممدوح رؤية العاشق للمعشوق، رؤية قلبية لا بصرية، ويبرز ذلك في قوله :

أَمَّا العَيَانُ فَلاَ عَيَـــانَ يَحُـدُّهُ لَكِنَّ رُوَاؤُكَ فِي الضَّمِيرِ ممـثل
أَلْقَـــاكَ بِالأَمَلِ الذِي لاَ ينـــي وَأَرَاكَ بِالقَلْـبِ الذِي لاَ يَغْفَـــل
يَجْرِي القَضَاءُ بِمَا تَشَاءُ فَنَازِحٌ وَمُقَـرَّبٌ وَمُؤَجَّـلٌ وَمُعَجّـلُ
لَكَ صِدْقٌ وَعَدَ الله فِي فُرْقَانِـــهِ لَمَّا يَقُـولُ الجَاهِلُـونَ الضُّـلَلَ
نَصْرَ الإِلَـــــهُ عَلَيْكَ عِبَـــادَهُ والله يَنْصُـرُ مَنْ يَشَاُء وَيَخْـذَلُ
لَنْ يَسْتَفِيقَ الرُّومُ مِنْ سَكَرَاتِهِـمْ إِنَّ الذِي شَرِبُـوا رَحِـقَ سَلْسَلُ

لقد عاب بعض الدارسين من القدامى والمحدثين على ابن هانيء مغالاته وإفراطه في مدح المعز ووصفه بصفات العظمة والتقديس، التي بلغ بها نهاية الكفر في نظر الفقهاء، ولكن لم يكن ابن هانيء وحده في هذا الغلو، فما زال الشعراء حتى اليوم يصنعون صنيعة كما كان المتنبي المعاصر له يسبقه في هذا الميدان دون أن تكون له نفس الدوافع والعقيدة المشتركة التي كانت تجمع بين هانيء والمعز.

يقول المتنبي :

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالإِلَهِ مُقَسَّمَـا فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ الإِلَهُ رَسُولاَ
أَوْ كَانَ لَفْظُكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ الـ فُرْقَانَ وَالتَّورَاةَ وَالانْجِيـــــلاَ

إذا كان المتنبي وما أبعده عن التشيع الحقيقي لا يعاب على البيتين السابقين فأولى وأحرى ألا يعاب ابن هانيء، وهو الرجل الشيعي المتحزب الذي يعلن في كل مناسبة تعلقه بالخليفة الفاطمي، ويتمنى أن يحظى بشرف الدخول في خدمته ذلك الشرف الذي يدخل به باب الفردوس

---

(1) : الديوان : ص 287.

(2) : المتنبي أبو الطيب : الديوان، شرح اليازجي، دار بيروت للطباعة والنشر،دط، 1981م، ص 304م.

وعندما يغمر فيض هذا الحب قلب الشاعر، نفى ذاته في ذات الممدوح فيصبح هو وكل ما حوله في طاعة المعز، حيث تتمثل هذه الطاعة في طاعة الله عز وجل وإذنه بالدخول إلى الجنة، حيث أن الشاعر « يحمل قلبا طافحا بالمودة والإخلاص تغذيه عقيدة اعتنقها مختارا، هي عقيدة ممدوحه فجاء تبعا لذلك مديحه صادقا يتدفق من عاطفة تأجّ محبة وإخلاصا لممدوحه فإذا بمزامير الثناء والإعجاب تطرب آذانهم ».[2]

لا ندري بعد ذلك ما الذي يحمله أحد الباحثين على رسم صورة مشوهة لابن هانيء في معرض مقاومته بصورة المتنبي أمام سيف الدولة الحمداني ؟. ففي زعم هذا الباحث ان ابن هانيء يبدو من خلال مدائحه « فردا عاديا كان أقصى أمله أن يمدح الملوك، و يتملقهم، حاسبا ذلك غاية الشرف ونهاية الرفعة، فلا غروة إذا رأيته متزلفا فنيت شخصيتهم فيهم، بينما يصور المتنبي على أن مدائحه تشعرنا انه شامخ الرأس دالا عليه – الملوك – بمدحهم بما يمدح نفسه ويرى نفسه بينهم ملكا غير متوج بين ملوك متوجين ».[3]

قد يصدق رأي هذا الباحث على بعض مدائح ابن هانيء خاصة بعد لقائه ابن المعز لكن بعدما توطدت صلة الشاعر بالخليفة، وتمكنت من قبله العقيدة الباطنية فإن مدائحه تخلو من أي طمع، حيث أنه يعتبر قلما يشير إلى عطاء المعز خلافا للمتنبي في مخاطبته لممدوحيه.

وهكذا فمثل هذا المديح يكشف عن عشق مبهور بممدوح لم يعد مجرد شخص يمدحه ابن هانيء طمعا في نوال أو عطاء، وإنما هو قيمة عليا يترصدها الشاعر ويتغنى بها حبا وعبادة.

---

(1) : الديوان : ص 70

(2) : كامل كيلاني : نظرات في الأدب الأندلسي، دار العرب للسبتاني، دط، 1924م، ص 186.

(3) محمد البعلاوي : ابن هانيء المغربي الأندلسي، شاعر الدولة الفاطمية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1985م، ص13

خاتمة

خاتمة :

وفي ختام بحثي هذا تناولت فيه شعر " ابن هاني الأندلسي " بين الاتباع والابتداع توصلت إلى جملة من النتائج التي ارتأيت تقسيمها إلى قسمين، أولهما يخص شخصية " ابن هاني" وثانيهما يخص شعره، فأما الأول منها فأبرزها :

كان " ابن هانيء " شاعر الخليفة، وشاعر السياسة، وشاعر العقيدة الفاطمية بمبادئها الروحية و آرائها السياسية ومعتقداتها الدينية ، فصارت شخصيته بين الأدباء والشعراء وبين رجال الدولة والسياسة أشهر شخصية على الإطلاق.

أما فيما يخص النتائج المتعلقة بشعره فأهمها :

إن القارئ لشعر : ابن هانيء" يجده وثيقة تاريخية تخلد أحداث عصره بما فيه من وصف لمظاهر الحياة العامة وأخص بالذكر الحياة التي عاشها في بلاط " المعز "، إذ سعى الشاعر إلى نشر الدعوة الشيعية الإسماعيلية، ففي شعره إشارات كثيرة تنم عن مذهبه.

إن حياته في الأندلس لم يكن عالما فيها بأسرار الدولة الفاطمية الإسماعيلية مما جعل شعره في البداية بسيطا تقليديا، لكنه بمجرد أن تقرب من بلاط " المعز " في مرحلة أخرى من حياته في الأندلس فإنه تقلد تلك المعاني الإسماعيلية وجسد ذلك في شعره.

عدم تحرج " ابن هاني " من إضافة المعاني الشيعية في أشعاره والتي خصها للمعز حتى بلغ به ذلك حد التأليه للخليفة.

وخلصت في الأخير أن صورة الممدوح " المعز لدين الله " نمت في مخيلة الشاعر بقدر نمو العقيدة في قلبه، حيث كان الممدوح في خيال الشاعر أنموذجا للبطل العربي المتشبع بكل قيم الفروسية، أما بعدما انتقل " ابن هانيء " إلى بلاط " المعز " فإن صورة الممدوح اتخذت أبعادا أخرى، فلم يعد الممدوح فارسا مثاليا فحسب، وإنما ارتقت صورته في نفس الشاعر بفعل تلقيه للمقولات الباطنية وارتقاؤه في مراتب الدعوة الإسلامية إلى منزلة الأنبياء والرسل، ثم حلقت إلى مصاف الملائكة المقربين، وبعد ذلك اكتملت أجزاء صورته في النهاية

حيث يصبح الممدوح إله ترجى مغفرته ويخشى عقابه، إله لا تدركه الأبصار ولا تحدده الأوصاف.

وأملي في الأخير أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، حتى وإن لم يسعفني الحظ في توضيح ما غمض أتمنى أن يأتي بعدي من يتوسع ويتطرق إلى ما أغفلت عنه، كما لا يسعني وأنا أختم هذا البحث بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف " خلايفي " على ما قدم من نصائح توجيهية لإنجاز البحث.

تم بحمد الله

الملحـــق

ترجمة "لابن هانيء الأندلسي"

التعريف بابن هانيء الأندلسي

من بين الشعراء الذين كرسوا شعرهم لخدمة مذهب ديني سياسي، وقربوا بأسماء ممدوحيهم وقرن ممدوحهم بأسمائهم " محمد بن هانيء المغربي الأندلسي " المشهور بقصائده المدحية " المعزيات " التي شحذ فيها طاقته لمدح الخليفة " المعز لدين الله الفاطمي "، هذه القصائد التي تحتقب مفصلا مهما من تاريخ العالم الاسلامي في القرن الرابع الهجري الذي وسمه المستشرق "لويس ماسنيون " بالقرن الاسماعيلي للإسلام، فيه أقام الفاطميون بأرض المغرب وأفريقيا أكبر ملك شيعي إسماعيلي شمل ثلثي العالم الإسلامي أو تجاوزه وباعتباره أن الكلام الجمالي سلاح فكري ومعتقدي خطير، فإن شعر بن هانيء يمسك المتلقي ويستفزه ليقرأ أدب شاعر ظلمه المكان لأن نبه أن مطلعه كان في الجناح الغربي من العالم العربي، وتعزيز الفكرة الإقليمية، فقد أطلق عليه لقب " متنبي المغرب " لنيل خصوصيته كشاعر مغربي وإخضاعه للتبعية المشرقية، كما ظلمه النقاد مرة أخرى حين تناولوا أشعاره بنقد مؤسس على رقابة دينية مشيرين إلى مروقة ومغالاته، مغفلين فتيته ونبوغه، ومن ثن ندرك أن العقيدة تغطي بعض الأحيان فنيات القصيدة فيضيع الفني جراء الفكري.[1]

فقد شهد له المغاربة ومن يعهدهم من أهل المشرق بالشاعرية الفائقة، بل رفعه أهل المغرب حسب عبارة ابن خلكان إلى المرتبة التي بلغها في المغرب معاصرة المتنبي وكثيرا ما تشبه ابن هانيء، وقرنت مكانته الأدية في المغرب معاصرة المتنبي.[2]

وقد نشأ ابن هانيء الأندلسي في الأندلس، عاش وترعرع في ظل دولتين عظيمتين، إحداهما دولة بني أمية في الأندلس، وثانيها دولة الفاطميين في الغرب، وقد قضى ابن هاني طفولته وشبابه في الأندلس، تعلم وتثقف بها، وكان كثير التشييع للفاطميين مثل أبيه، وهو في نظره أحق بالخلافة والحكم من الأمويين والعباسيين معا، لأنهم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن نسبه.

---

(1) : أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص 02

(2) : ابن خلكان: وفيات الأعيان، القاهرة، دط، 1948م، ص 05

والشاعر ذو أصل عربي صميم، ولقد اجتمع لابن هانيء كل ما يطمح إليه من أجواء الثقافة وأمجاد الماضي ومكانة الحاضر، فعائلته عائلة علم، والمدينة التي عاش فيها مدينة علم وأدب وفن، كانت الدولة الأموية في الأندلس ترعى الثقافة للكل وخاصة الجانب الديني والأدبي منه فلقد كان لبيئته الأندلسية المترفة وحضارتها الراهنة في عهد الناصر والمنافسة السياسية بين بغداد وقرطبة، وكان لذلك أثر في ازدهار الأدب والشعر في الأندلس، الوطن الأول لابن هانيء ثم كان التنوع في الوصف ودقة التصوير، وتنقل الخيال وسلامة الأسلوب، ويمكن القول بأن ابن هانيء وقد استفاد في شبابه من هذه البيئة إذ تلقى دراسة لغوية ودينية وأدبية واسعة، ثروته اللغوية عظيمة عزيزة، فقد تتلمذ على يد أبي علي الغالي صاحب كتاب الأمالي في مسجد قرطبة.[1]

وإلى جانب ثقافته اللغوية كان لابن هانيء ثقافة دينية فيها شيء كثير من التعمق الذي مكنه من دراسة المذاهب الدينية في ضوء تفكير فلسفي لا يخلو من سعة وعمق، وقد تأثر من خلال دراسته هذه لمذاهب الباطنيين وما يوجد فيه من تقديس الإمام.

والمعروف أن الأندلسيين كثيري التعصب الديني لا يتسامحون مع من يحمل مذهبا غير مذهبهم وكانوا بالخصوص مع من تشيع في أفكاره ونزعته الفلسفية، قامت شهرة ابن هانيء على فن المديح من جهة وعلى ارتباط معظم قصائد هذا الفن بالمعز الدين الله الفاطمي من جهة أخرى.

ولد أبو القاسم محمد بن هانيء الأزدي الأندلسي بأشبيلية في زهرة العهد الأموي وفي أوج عصره الذهبي وفي حكم الملك الناصر، وكانت أشبيلية آنذاك أخصب بلاد الأندلس علما وأدبا، فنشأ بها ودرس الأدب العربي على النمط المألوف، يومئذ من السماع والحفظ والإنشاد والمحاكاة، وأبو هاني يرشده ويعضده لأنه هو نفسه أديب يعيش على الأدب ويتكسب بالشعر واستهوى شاعرنا ما عليه طائفة الشعراء من النعمة والثراء فسلك سبيلهم وتبع دليلهم حتى اتصل بصاحب أشبيلية فنال خطوته وكسب محبته، وكانت ثمار الحضارة الأندلسية من الترف واللهو قد بدت في ذلك الحين، فقطف ابن هاني منها باليدين ولم تجد له رادعا من خلا ولا وازعا من دين.

---

(1) : ابن خلكان : وفيات الأعيان، ص6.

وأخذ بشيء من مذاهب الفلسفة والأندلسيون على نقيض الشرقيين يمقتون البدعة وينصرون السنة وينكرون الفلاسفة والأندلسيون ويصدرون عن البحث في الدين، فتألب أهل أشبيلية عليه وكادوا يصلون بالأذى عليه، واتهموا الملك بمشايعته على رأيه، فأشار عليه أن يغيب ريثما تهدأ ثائرة القوم وينسونه، فرحل إلى عدوة المغرب وعمره ست وعشرون سنة، فلقي القائد جوهرا فاتح مصر للمعز فمدحه، زرع آماله فوصله الجد الميمون بالمعز الدين الله فاصطفاه إليه وأغدق إحسانه عليه ولما خر المعز يريد مصر بعد أن فتحها جوهر وراض له الأمر فيها شيعة ابن هانيء، فلما كان في طريقه إليها عرج على برقة ونزل في ضيافة رجل من أهلها فأقام عنده يقصف ويلهو.[1]

كان ابن هانيء ماجنا خليع العذار صاحب لهو وخمر، وكان ذكي الفؤاد فكه الأخلاق جمر الأدب صريح القول والفعل، لا يبالي أين يقع ذلك من الناس ومصداق تلك الصفات فيه مجاهرته بآراء تنكرها بيئته، وترفضها طبقته، ومبالغته في شعره إلى حد الكفر، والشاعر دون الفيلسوف أحر من الناس على رضا الناس.[2]

أما بالنسبة لمسقط رأسه فابن الأبار في التكملة ينسبه إلى البيرة، دون أن يقول أنه ولد بها ويقول تبن خلكان أنه ولد بأشبيلية، أما لسان الدين بن الخطيب فإنه جعل مولده بقرية من أفوار أشبيلية تدعى " سكون " فإنه يدعوا الألبيري لا الإشبيلي، كأنه يعني أنه عاش حياته الأولى بالبيرة، ولعل صاحب الإحاطة أراد أن يقرب أنه عاش حياته في غرناطة مدينته (المحببة) سعيد المغزلي يسميه الألبيري ويردف هذه النسبة بالغرناطي.

أما بالنسبة عن أسرة الشاعر لا نعرف سوى بعض المعلومات الغامضة عن أبيه هانيء فيقول ابن الأبار أنه ولد بالمهدية ثم هاجر إلى الأندلس، ولعل هانيء ولد بأفريقية في أخوار ما يصبح عاصمة العميدين، ولكنه ولد على كل حال قبل سنة.

---

(1) : أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي، ص 237

(2) : المرجع نفسه، ص 237

(3) : ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة، دط، مدريد، 1889م، ص 107

وابن هانيء من أصل عربي صميم، يتصل نسبه بالمهلي بن أبي صفرة الأزدي القائد العسكري المشهور في دولة بني أمية بالشام، وكانت عائلته المشهورة بالعلم، كما اشتهر أجداده بعروبتهم وقحطانيتهم، وهذا ما جعل ابن هانيء يشعر طيلة حياته باعتزاز الماضي ويفتخر بأجداده؛ وهذه ناحية من النواحي التي يختلف فيها عن المتنبي، فبينما نرى المتنبي يهمل الحديث عن أجداده وعن نسبه ويعتقد أنه ألبسهم شرفا فيقول :

مَا بِبقَومِي شَرِفْتُ بَلْ شَرِفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخِرْتُ لا بِأَجْدَادي.[1]

نجد ابن هانيء يقول :

ذَرْنِـي أُجَدِّدُ ذَلِكَ العَهْدُ الّذِي أَعينًا عَلَى الأَيّامِ أَنْ يَتَقَشّبَا

قد اجتمع لابن هانيء كل ما يطمح إليه من أجواد الثقافة وأمجاد الماضي ومكانة الحاضر فعائلته عائلة علم والمدينة التي عاش فيها مدينة علم وأدب فن، وكانت الدولة الأموية في الأندلس ترعى الثقافة بكل عناية وخاصة الجانب الديني والأدبي منها، وكان الانصراف كثيرا إلى الفنون التي ساعد ازدهارها في الأندلس ما كانت تتجلى به هذه البلاد من بيئة تنوع جمالها وبرع أهلها في الاستفادة منه والتغني به.[2]

فقد تشيع ابن هانيء ورأى المجتمع الأندلسي في أشبيلية حظره على نظامه الاجتماعي و السياسي، فاضطهدوه وقاوموه، وكاد يفتك به أهل أشبيلية لولا مكانته، أما من ناحية تشيعه وانتسابه إلى الدعوة الفاطمية منذ شبابه وحتى صباه، فالمرجع الأول هو وسطه العائلي والمرجع الثاني لتشييع ابن هانيء منذ صغره وهو ضياع شعره في الفترة الأندلسية، أما بالنسبة للمرجع الثالث فنلتمسه من المعاني والشعارات التي يأخذها في قصيدة له يمدح فيها جوهرا فالشاعر يستعمل الألقاب التي أنشأتها الدعاية الرسمية في شأن الخليفة فهو الإمام، وهو أمير المؤمنين وخليفة الهدى، إلى غير ذلك، ويقارن جوهرا في وفائه الإمام وخدمته له، بالحوار بين علاقته بالأنبياء بل يدعوا الناس إلى اتباع الطريق التي سطرها لهم ومن ذلك قوله :

رَآهُ أَمِـيرُ المُؤمِنِيـنَ كَعَهـدِهِ لَدَيْهِ وَلَمْ تَنْزِحُ بِهِ الدَّارُ مَنْزَحًا
وَلَمَّا تَغَشَّتْ جَانِبَ الأَرْضِ فِتْنَةً تَشُبُّ لَظَى الهَيْجَاءِ أَلفحَ أَلفحًـا
رَمَى بِك قَارُونَ المَغاربِ عَاتِبًا وَ فِرْعَوْنُهَا مُسْتَحْيِيَا وَمَذْبَحًـا.[3]

(1) : الديوان، ص 47.

(2) : شريط عبد الله، تاريخ الثقافة و الأدب في المشرق والمغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1983، ص 294-295.

(3) : الديوان : ص 78

وإنه من المستبعد أن يكون الشاعر تكلف هذا الولاء الشيعي في الحين والحال تزلف إلى القائد، ومن ورائه الخليفة.

ونلاحظ في مدحه للمعز كيف قام ابن هانيء بتقديس الإمام، فالأوصاف التي يصف بها المعز والمقارنات والتشابيه والافتراضات، كل هذا يبلغ حد التأليه ، أي في نظر السنة يبلغ الكفر والشرك بالله، في حين أنه في نظر الشيعة اعترف بالصفات الشرعية للإمام، فالأئمة هداة شعوبهم ورعاياهم الذين أشار إليهم الله عز وجل في قوله : ﴿... وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ...﴾.[1]

تشيع ابن هانيء صحيح وصادق، لعله لم يكف على مثل هذه القوة في أول الأمر فتوطد وتعمق بتعرف الشاعر على الخليفة ومعاشرته له.

فالتشيع عند ابن هانيء ليس صادرا عن تعليمات رسمية تتكيف كل يوم بحسب تطورات السياسة ومقتضيات الساعة، بل هو منبثق عن اعتقاد راسخ بصحة الدعوة وعدل الأئمة.

أما بالنسبة لوفاته فقد أسف له المعز عند سماعه بخبر وفاة ابن هانيء وقال : « هذا الرجل كنا نرجوا أن نفاخر به شعراء الشرق فلم يقدر لنا ذلك ».[2]

لما توجه المعز إلى مصر بعد أن فتحها، جوهر تخلف الشاعر عنه ريثما يتجهز ويأخذ عياله، وفيما هو في طريق مصر توقف في برقة عند رجل أضافه وقضى عنده عدة أيام في قصف وسكر وعربدة، ثم ألقي في الطريق ميتا وكان ذلك سنة 362 هـ.[3]

---

(1) : سورة الرعد، الآية 07

(2) : أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي، ص 237.

(3) : حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 210.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن هانيء الأندلسي : الديوان، تحقيق وتقديم كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1988م.

2- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة، مدريد، دط، 1989م.

3- إحسان عباس : تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ج1، عصر سيادة قرطبة، دار الشروق للنشر والتوزيع- الأردن، ط1، 2011م.

4- أحمد الاسكندري : تاريخ آداب اللغة العربية، مكتبة السعادة، مصر، ط1، 1912م.

5- أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط7، 2002م.

6- بكري عطاء : دراسات في الشعر العربي، مكتبة الإرشاد – بغداد.

7- عبد الله التطاوي : قضايا الفن في قصيدة المديح العباسية، دار الثقافة – القاهرة، دط 1982م.

8- الجوهري : معجم الصحاح، ج3، تحقيق أحمد عبد الله الغفورعطار، دار الملايين - بيروت، ط2، 1939م.

9- حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف – مصر، دط 1974م.

10- حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل للطبع والنشر – بيروت، دط، 2005م.

11- حنا الفاخوري : الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ج3، الأدب في الأندلس والمغرب، دار الجيل للطبع والنشر – بيروت، ط1، 2003م.

12-ابن خفاجة : الديوان، شرح وضبط نصوصه وقدم له عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، دط.

13-ابن خلكان، وفيات الأعيان – القاهرة، دط، 1948م.

14-ابن دراج القسطلي : الديوان، حققه وعلق عليه وقدم له محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي – دمشق، ط1، 1961 م.

15-ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر ونقده – مصر، دط، 1955م.

16-الزبيدي : معجم تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، تحقيق مصطفى حجازي مراجعة عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1969م.

17-ابن زيدون : الديوان، شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي – بيروت، ط2 1994م.

18-عبد الله شريط : تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، ط3، 1983م.

19-أبو الطيب المتنبي : الديوان، شرح اليازجي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1981م.

20-عبد العزيز عتيق: الأدب الأندلسي، دار النهضة العربية- بيروت.

21-علي زاهد : تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف، دط، 2008م.

22-عمر الدقاق : ملامح الشعر الأندلسي، جامعة حلب، دط، 1978م.

23-ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.

24-فوزي عيسى : في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع – مصر، ط1، 2009م.

25-كامل كيلاني : نظرات في الأدب الأندلسي، دار العرب للبستاني، دط، 1924م.

26-محمد الطيب عبد النافع وابراهيم عبد الرحيم يوسف : تاريخ الأدب والنصوص الأدبية، مراجعة منير البعلبكي، مكتبة الوحدة العربية – بيروت.

27-محمد عبابسة : الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع – مستغانم، ط1، 2012م.

28-محمد سعيد محمد : دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب الوطنية – ليبيا، ط1، 2001م.

29-محمد اليعلاوي : ابن هانيء المغربي الأندلسي، شاعر الدولة الفاطمية، دار المغرب الإسلامي – بيروت، دط، 1985م

30-مجمع اللغة العربية : معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2002م.

31-مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب، ج1، مراجعة وضبط عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة اللإيمان للنشر - مصر.

32-ابن منظور : لسان العرب، مج 8، دار صادر بيروت.

33-نجلاء لطفي : الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية القديمة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر.

الفهرس

فهرس الموضوعـــــــــات

الفهـــــــــــــــــــرس

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة ..... أ/ب

مدخل ص06

الفصـــــــــــل الأول

الشعر الأندلسي الموضوعات والخصائص والإطار المفاهيمي للاتباع والابتداع ص 14

أولا : الشعر الأندلسي ..... ص 14

01- خصائص الشعر الأندلسي ..... ص 14

02 – موضوعات الشعر الأندلسي ..... ص 16

الوصف ..... ص 16

المدح..... ص 17

ثانيا : الإتباع ..... ص 19

I. لغـــة ..... ص 19

01- معنى الاتباع في لسان العرب ..... ص 19

02- معنى الاتباع في المعجم الوسيط ..... ص 19

03- معنى الإتباع في معجم الصحاح ..... ص 20

04- معنى الإتباع في معجم تاج العروس ..... ص 20

05- معنى الاتباع في معجم مقاييس اللغة ..... ص 21

II- اصطلاحا ..... ص 21

ورود كلمة اتباع في القرآن الكريم ..... ص 22

ثالثا : الابتداع ..... ص 23

I- لغة ..... ص 23

معنى الابتداع في معجم لسان العرب ..... ص 23

02- معنى الابتداع في معجم الوسيط ..... ص 24

03- معنى ابتدع في معجم الصحاح ..... ص 24

04- معنى ابتدع في معجم تاج العروس..... ص 24

05- معنى ابتدع في معجم مقاييس اللغة ..... ص 24

II- اصطلاحا ..... ص 25

الفصـــــــــل الثاني

01- المقدمة الطللية ..... ص 28

02- المقدمة الغزلية ..... ص 30

فهرس الموضوعـــــــــات

03- وصف الرحلة ..... ص 33
04- وصف الطبيعة ..... ص 36
05- مقدمة الشكوى ..... ص 37
06- مقدمة المدح المباشر ..... ص 38
تجلى التشبع في شعر ابن هانيء ..... ص 39
الملحق ص46
خاتمة ..... ج/د
قائمة المصادر والمراجع .....
فهرس الموضوع .....